الوعي

٣٦٩

جامعية - فكرية - ثقافية

شوال ١٤٣٨هـ - تموز ٢٠١٧م

- التفرّدُ الأميركي... أطماعٌ وتحدّيات
- ثروات السودان... بين الواقع المرير والمستقبل المشرق
- مرادُ أهل الدرايةِ من معنى فرضِ الكفاية
- رياض الجنة: حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»
- محمد بن سلمان: ثورة في العائلة والدين والاقتصاد والعلاقات مع (إسرائيل)

محتويات العدد

السنة الثانية والثلاثين العدد ٣٦٩ شوال ١٤٣٨هـ - تموز ٢٠١٧م

- كلمة العدد: الغرباء ٣
- التفرّدُ الأميركي... أطماعٌ وتحدّيات ١١

بقلم: حمد طبيب – بيت المقدس

- ثروات السودان... بين الواقع المرير والمستقبل المشرق ١٨

بقلم: سليمان الدسيس - عضو مجلس حزب التحرير/ولاية السودان

- رفع العقوبات عن السودان... مكر أميركا لإظهار العلمانية، وتفتيت ما تبقّى من البلاد. ٢٥

بقلم: محمد جامع (أبو أيمن)

مساعد الناطق الرسمي لحزب التحرير/ ولاية السودان

- مرادُ أهل الدرايةِ من معنى فرضِ الكفاية ٣١

بقلم: صالح عبد الرحيم - الجزائر

- أخبار المسلمين في العالم ٣٩
- مع القرآن الكريم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ ٤٤
- رياض الجنة: حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَة» (١) ٤٦
- حدائق ذات بهجة: التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي أَمْرِ الْآخِرَة ٤٨
- كلمة أخيرة: محمد بن سلمان: ثورة في العائلة والدين والاقتصاد والعلاقات مع (إسرائيل) ٥١
- غلاف أخير:

مآسي المسلمين الإيغور تلاحقهم في أرض الكنانة! ٥٢

إلى السادة الكتاب

• يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "الوعي" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.

• لا تقبل "الوعي" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.

• ل "الوعي" حق تصحيح المواضَيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.

• نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.

للمراسلات subjects@al-waie.org

كلمة الوعي (صفحة ٣)

الغرباء

جامعية - فكرية - ثقافية

الوعي

al-waie.org

مجلة الوعي تصدر كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان بترخيص رقم "١٦٦" صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

ثمن النسخة

لبنان: ١٠٠٠ل.ل	اليمن: ٣٠ريال	تركيا: ١$ أميركي	باكستان: ١$ أميركي	
أستراليا: ٢,٥$	أميركا: ٢,٥$	كندا: ٢,٥$	المانيا: ٢,٥ يورو	السويد: ١٥كرون
بلجيكا: ١يورو	بريطانيا: ١£	سويسرا: ٢ فرنك	النمسا: ١يورو	الدانمرك: ١٥كرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الغــرباء

أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأمر المسلمين جميعًا في كل أصقاعهم وأعصارهم أن يكونوا على سيرة رسولهم في تطبيق الإسلام ونشره. وقد فهم الرعيل الأول هذه المهمة السامية وقاموا بها خير قيام؛ فكانوا خير القرون بشهادة رسولهم الكريم، وكيف لا والرسول صلى الله عليه وسلم كان بين ظهرانيهم؟! ثم هو صلى الله عليه وسلم طلب من المسلمين من بعده أن يكونوا على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في هذا الزمان، فكانت الخيرية في هذا التأسي والضمان في هذا الالتزام...

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق، أخبر في حديث صحيح أنه تمر على الأمة حقبات من تطبيق الإسلام، ولو استعرضها المسلمون لوجدوا أنها قد انطبقت على واقعهم تمام الانطباق. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح، والذي روي بصيغ مختلفة تجتمع جميعها على ما ذكر في هذا الحديث: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله...**» أخرجه أحمد. فالمسلمون، على مر تاريخهم مروا في كل هذه الحقبات، الواحدة تلو الأخرى: من زمن النبوة إلى زمن الخلافة الراشدة التي كانت على منهاج النبوة، إلى زمن الملك العاض الذي تحول الحكم فيه إلى وراثة وولاية عهد، إلى زمن الحكم الجبري الذي يحكم المسلمين بالقهر والحديد، والذي يعيش المسلمون اليوم تحت وطأته ويكتوون بظلمه، وبقيت الحقبة الأخيرة التي يتطلع المسلمون إلى تحقيقها، وهي زمن الخلافة الراشدة الثانية التي تكون على منهاج النبوة...

وهذه الحقبة الأخيرة (حقبة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة) فإننا نرى إرهاصات تبشر بقرب حلولها، ويعيش المسلمون اليوم حالة مخاضها، ويشهدون مرحلتها الانتقالية؛ لذلك فهي تتطلب من المسلمين حسن التأسي وحسن السير على طريقة رسولهم، والعبُّ من نفس الينابيع التي عبَّ منها الأوائل؛ ليتمكن المسلمون من الخروج من المآزق التي يعيشونها اليوم من جرائم بحقهم ومن فقر وقهر وتنكيل، والتي لا سبيل للمسلمين للخروج منها ومن زمن الحكم الجبري إلّا بعد إقامة الخلافة الراشدة الثانية التي تكون على منهاج النبوة.

وفيما يلي سنستعرض طائفة من الأحاديث التي نراها تنطبق على واقعنا اليوم والتي تشير بوضوح إلى الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلمون أفرادًا وجماعات أثناء سيرهم باتجاه

إقامة الخلافة الراشدة الثانية، موعود رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمل خلاص المسلمين في هذه الفترة:

١- أخرج الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الإسلام بدأ غريبًا، ويرجِع غريبًا، فطوبى للغرباء، الذين يُصْلِحونَ ما أفْسَد الناس بعدي من سُنَّتي**».

٢- وأخرج أحْمد والطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**طوبى للغرباء**»، قلنا: وما الغرباء؟ قال: «**قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، مَنْ يَعصيهِمْ أكثَرُ مِمَّن يُطيعهم**».

٣- وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أحب شيء إلى الله الغرباء**»، قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**الفرارون بدينهم، يجتمعون إلى عيسى بن مريم عليه السلام يوم القيامة**». وفي لفظ آخر: «**الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم**».

٤- وعن عبد الله بنِ مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**النُّـزَّاع من القبائل**».

٥- وروى البيهقي: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ. فطوبى للغرباء**»، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**الذين يُحيون سنتي، ويعلمونها الناس**».

٦- وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر مرفوعًا: «**إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة بقربهم ومجلسهم منه**». فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله، صفهم لنا، جلِّهم لنا. قال: «**قوم من أفناء الناس، من نُزَّاع القبائل، تصادقوا في الله، وتحابُّوا في الله، يضع الله لهم يوم القيامة منابرَ من نور، فيجلسهم، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**».

٧- وأخرج ابن أبي شيبة، عن العلاء بن زياد عن نبي الله ﷺ قال: «**هؤلاء كانوا يتحابُّون في الله على غير أموال تعاطَوها، ولا أرحامٍ كانت بينهم**».

يلاحظ أن هذه الأحاديث تخبرنا عن وجود فترتين متشابهتين تمر بهما الأمة الإسلامية، يكون الإسلام فيهما غريبًا، وهي فترةُ الإسلام الأولى التي بدأت مع الرسول ﷺ وذلك من قوله «**بدأ الإسلام**»، وفترةٌ لاحقةٌ ستمر على الأمة شبيهة بها، وهذه الفترة يظهر أننا نعيش مثلها.

ويلاحظ أن هذه الأحاديث هي لإرشاد المسلمين لما يجب عليهم فعلُه، ولتثبيت من يسير على الدرب نفسِه. فنصوص هذه الأحاديث جاءت إخبارًا يتضمن المدح، فهو يفيد الطلب. ولما كان ما يقوم به هؤلاء الغرباء هو فرض؛ فيكون الطلب مفيدًا للوجوب.

ويلاحظ أنهم قليل في كثير؛ وذلك بقوله: «**غرباء**» وبقوله: «**قومٌ صالحون قليلٌ في ناسٍ**

سوءٍ كثير» فهؤلاء الغرباء لقلتهم في الناس جدًّا سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير صفاتهم.

ويلاحظ أنها تكون غربة مع الناس بينما هي قربة من الله؛ وذلك لأنهم يقومون بما يقرِّبهم من الله سبحانه وتعالى، لقوله: «**الذين يُصْلِحونَ ما أفْسَد الناس بعدي من سُنَّتي**» «**قوم صالحون**» «**الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم**». أما قوله: «**يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم**» فيذكرنا بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه أبي نُعَيمٍ في الحلية: «**ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الإسلام حيث دار، ألا إن القرآن والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء مضلون يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن أطعتموهم أضلوكم، وإن خالفتموهم قتلوكم**»، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله؟! قال: «**كما فعل أصحاب عيسى، نُشِروا بالمناشير، وصُلِّبوا على الخُشُب، والذي نفس محمد بيده، لموتة في طاعة الله، خير من حياة في معصيته**».

فقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بدأ الإسلام غريبًا**» يريد به أن الناس كانوا قبل مبعثه ﷺ على ضلالة عامَّة، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الإسلام لم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة، وكان المستجيب له خائفًا في عشيرته وقبيلته، يؤذى غاية الإيذاء، ويُنال منه وهو صابرٌ على ذلك في الله عز وجل، وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين، يُطرَدون ويُشرَّدون، ويفِرُّون بِدِينِهم إلى البِلاد النَّائية، كما هاجروا إلى الحبشة مرَّتَيْنِ فرارًا من الفتنة عن الدين، ثُمَّ هاجروا إلى المدينة لإقامة دولة الإسلام، وكان منهم مَن عُذِّب في الله، ومنهم مَن قُتِلَ، فكان الدَّاخِلون في الإسلام حينئذٍ غُرَباء. وهذا هو تحقيق قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فهؤلاء هم أهل الله حقًّا، فلا غربة عليهم من الله ورسوله، وإنما غربتهم بين الأكثرين من الناس. وهؤلاء لم يأوَوا إلى غير الله. ولم ينتسبوا إلى غير رسوله صلى الله عليه وسلم. ولم يدعوا إلى غير ما جاء به.

ويلاحظ أنه أعطى مرتبة للفريقين بقوله: «**يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة بقربهم ومجلسهم منه**». وأعطى وصفًا لهم بقوله: «**قومٌ من أفناء الناس، من نُـزَّاع القبائل**». من أفناء الناس تعني أَخلاط من مختلف البلاد. ونُـزَّاع القبائل هم الذين يخرجون من بين جمع قومهم يتفردون عنهم بهذه الدعوة، كما كان المهاجرون نُزَّاعًا... يتفلتون من ديارهم ومن أقوامهم ومن عشائرهم، ويهاجرون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

عندما طرحنا في حزب التحرير ما طرحه السابقون الأوائل، وتأسَّينا بالرسول صلى الله

عليه وآله وسلم الذي أُمر المسلمون جميعًا بالتأسي به، ولم يتأسَّ به غيرنا في فهم الإسلام في حمل دعوته؛ وذلك بالسير على نفس طريقته في إقامة الدين؛ وتبنَّينا ما تبناه من طريقة فهمه للإسلام على نفس طريقة الرسول وقرنه «**خير القرون قرني**»... عندها وجدنا أنفسنا غرباء بما طرحناه، وأصبحت مفاهيمُنا ومقاييسُنا الشرعية وتقييماتُنا للواقع وللحكم عليه على غير ما عند الناس، وشعرنا بالغربة حينما كان الناس لا يقبلون مفاهيم الإسلام الصحيحة... وأصبحنا أفناء في الناس أَخلاطًا من مختلف البلاد، أصبحنا كنزاع القبائل الذين يخرجون من بين جمع قومهم يتفردون عنهم بهذه الدعوة، كما كان المهاجرون الأوائل مع الرسول ﷺ.

وعندما أنشأ الشيخ تقي الدين النبهاني، رحمه الله، الحزب، كان المسلمون بعامتهم وعلمائهم وحركاتهم قد شغلهم كفارُ الغرب بمصائبَ كثيرةٍ، منها تقسيمُ بلادهم، وإبعادُ شريعتهم عن الحكم، وتضييعُ الأرض المباركة وتسليمُها لليهود، وإشغالُهم بقضايا القومية والوطنية، ونشرُ فكرة فصل الدين عن الدولة، واللعبُ بمفاهيم الإسلام بشكلٍ يجعلُه يُفهم على الطريقة الغربية، وربطُ حياة المسلمين بطريقة عيشه، وزرعُ فكرة المصالح بينهم... فضاعت طريقة الإسلام الصحيحة في المعالجات، وصار المسلمون، علماءُ وحركات، يلتمسون الشفاء من وصفات الغرب للعلاج، فقاموا بإنشاء حركات قائمة على ردات الفعل، وعلى المشاعر، وعلى تحقيق الأهداف القريبة... لذلك عندما قام الحزبُ وجعل هدفَه استئنافَ الحياة الإسلامية، وجعل طريقتَه لذلك إقامةَ الخلافة الراشدة، بطريقة رسول الله، وهو هدفٌ بعيد، ويتطلبُ التغييرَ الجذري، وتبنى طريقةَ فهم الإسلام الصحيحةَ والوحيدةَ في فهم الدين، وهو ما كان بَعُدَ عنه المسلمون بعلمائهم وحركاتهم، وتبِعَهم عامتُّهم في ذلك، واستعاضوا عنها بالطريقة التي أرادها الغرب لفهم الإسلام... ظهر غريبًا في طرحه، وزاد من غربته أن هؤلاء العلماءَ، بدفعٍ من الغرب، راحوا يهاجمون طريقةَ فهم الإسلام الصحيحة، وينعِتون الحاملين لها بالجمود، وراح هؤلاء العلماء ينعِقون وراءهم بالقول إن الشريعة مرنةٌ ومتطورةٌ، ولا ينكَر في الإسلام تغيرُ الأحكام بتغير الزمان والمكان، وإنه حيثما تكون المصلحة فثم شرع الله... وهذه العقليةُ الجديدةُ لعلماء ومسؤولي الحركات الإسلامية المتأثرين بالعقلية الغربية راحت تتأثر بالواقع وتستمد حلولهَا منه، وأصبح الواقع مصدر التفكير عند هؤلاء وليس الشرع. وكان من آثار ذلك، قيام دعوات إصلاح الواقع وترقيعه وليس تغييره؛ وذلك من مثل إيجاد الدعوات الأخلاقية والخيرية... هنا بدا البونُ شاسعًا في العمل والنظرة إليه بيننا وبينهم... وظهر الحزبُ غريبًا في فكره، يلتحق به القلة من المؤمنين كنزاع القبائل. فطرحُ الحزب لنفسه على أساس أنه لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ جعله يبدو غريبًا في دعوته، جملة وتفصيلًا:

وعندما طرح الحزب أن الحل لجميع مشاكل المسلمين هي الخلافة كان وحيدًا في طرحه، وللأسف ما زال وحيدًا في طرحه، وفي الطريقة التي فهم بها هذا الطرح، وكان هذا الطرح بعيدًا عن أذهان العاملين في إصلاح أمر المسلمين الذين قامت دعواتهم السياسية على المطالبة بالمشاركة في الأنظمة السياسية القائمة، أو راحت تعتبر الحاكمَ وليَّ أمرٍ تجبُ طاعتُه ويحرم الخروجُ عليه، وهذان شكلان من أشكال فصل الدين عن الدولة... وفوق بُعْدِ هذه الحركات عن الفهم الشرعي الصحيح وتأثرِها بالغرب راحت تهاجمنا لتزيد من غربتنا. وكذلك، فإن مما أكد غربةَ الحزب أنه لم توجد حركةٌ إسلاميةٌ عاملةٌ أخرى تشاركه في همه وفهمه.

وعندما طرح الحزب أنه لا بد لكل عمل من دليل، كان علماء المسلمين وحركاتهم يتفلتون من الدليل بحجج وأفهام ما أنزل الله بها من سلطان، فعندما طرحنا أن الخلافة هي الحل الجذري لكل مشاكل المسلمين، وأن إقامتها تجعل المسلمين على طريقة رسولهم من إقامة الدين ونشره، وتمكنهم من التخلص من استعمار الغرب لهم، وتقضي على كل المشاكل التي يقع فيها المسلمون جراء عدم تطبيق الشرع... كانوا يقولون وهل نسكت على الظلم وننتظر الخلافة، وراحوا يتفلتون بتشريع ما يغضب الله سبحانه ويغير أحكامه على النقيض تمامًا؛ حيث أجازوا التعامل بالربا كونه من العلاقات التي تقوم عليها المعاملات ولا يمكن تجنبها، ووجدت أحكام تجيز للمسلم حتى أن يكون جنديًا في بلاد الغرب، يقاتل في سبيل تحقيق أهداف دولته التي حصل على جنسيتها، حتى ولو تطلبت قتال المسلمين، كما حدث فعلًا في أفغانستان وفي العراق... وحتى أجازت له أن يشارك في انتخاباتهم... وكثيرة هي الأمثلة، ولا يتسع الوقت لتعدادها.

هذه الغربة، صحيحٌ أنها شديدةٌ على النفس من ناحية العلاقة مع المسلمين، ولكنها مطمئنة من ناحية العلاقة مع الله؛ إذ على هذه الدعوة تمامًا تنشأ سيرة الدعوات الصادقة، دعوة الأنبياء. والتغييرُ الذي تسعى إليه هو التغييرُ الذي يرضي الله، التغييرُ الجذريُّ الذي يكون الحكمُ فيه لله وحده، التغييرُ الذي يقيم دولةً مبدئيةً كالدولة التي أنشأها الرسول أول مرة.

وهنا لا بد من لفت النظر أن مثل دعوتنا تختلف حسابات النصر عندها عما عند غيرها كل الاختلاف. وهذا مما لا يدركه أحد غيرنا، فقد نرى نحن أن دعوتنا ناجحة كل النجاح ولا يرى غيرنا ذلك، فيقول لنا أين أنتم؟ ماذا عندكم من مؤسسات؟ أو من نواب؟ أو من وزراء؟... فيحكم علينا بالفشل لأنه يقيس بميزان أفكاره وطريقة تفكيره، وهو ميزان غير شرعي،... بينما نحن نحكم على عملنا من خلال المفاهيم والمقاييس الشرعية المنضبطة. ونحن نحكم على عملنا الآن بأنه ناجح، وأنه قد قطع شوطًا بعيدًا، وأنه نجح حيث فشل الآخرون، فما وضعناه

لأنفسنا من أهداف مرحلية قريبة قد تحققت إلى حد بعيد، ولم يبقَ منها إلا النذر اليسير، فقد تحقق لنا، بفضل الله وعونه وتوفيقه، وجود كتلة فاهمة للفكرة هاضمة للطريقة، وتحقق لنا وجود رأي عام كاسح للخلافة، ووجد تململٌ عامٌ لدى أهل القوة من هذه الأوضاع المأساوية التي يمر بها المسلمون؛ لذلك زادت الأنظمة ضغطها ومن وتيرة تخويفها لهم. والأمة تنتظرهم، بل قل تنتظر من ربها أن يأتي أمره، تنتظر تدخلًا ربانيًا ينقذ بهم الأوضاع.

وهناك أمر لا بد من لفت النظر إليه، وهو أن الصحابة مع رسول الله كانوا يقومون بأمر الله من غير أن يعلموا أنهم يسيرون على طريقة كذا، أو هكذا تكون مراحلها وخطواتها، بل كانوا يسيرون كما يسير بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... أما نحن فنعلم، ويجب أن نعلم؛ حتى ننضبط بأحكام الطريقة الشرعية؛ فلا نغير فيها نتيجة الضغوط المادية الشديدة علينا، بل نصبر على أحكامها ونلتزم عدم الحيد عنها قيد أنملة. ونحن من هذه الزاوية نستطيع أن نعلم ماذا حققنا وماذا قطعنا، وماذا بقي لنا، ولكن لن نستطيع أن نعلم متى نصر الله (زمانه) فقد ذكر القرآن الكريم في ذلك: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾، ولا أين (مكانه)، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**فقد أُريت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان**»؛ فالرسول ﷺ لم يعرفها إلا بعدما أخبره الوحي بمكانها... وعليه فنحن اليوم في حالة انتظار للفرج والنصر على ما نعلم من فقه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ومن هنا نقول إنه لم يعد بعيدًا، والأمر كله بيد الله العليم الخبير.

بعد كل هذا الكلام، نصل إلى لب المقصد، وهو أنه يمكننا أن نحكم على هذه الأوضاع الشديدة التي يمر بها المسلمون أن أجواءها أجواء نصر إن شاء الله. فهذه الأوضاع المأساوية التي نعيشها إنما هي بسبب ديننا، ويمكن القول إنها أجواء الشدة والصبر التي تسبق النصر، وأجواء الكرب التي تسبق الفرج، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**». وهذه الأوضاع الشديدة مرت بمثلها دعوات الرسل والأنبياء من قبل، وهذا دليلٌ على صدقها، ومَعلَمٌ يدل على قرب حصول النصر، إن شاء الله تعالى، مباشرة من بعدها. فسيدنا موسى عليه السلام ومعه قومه، أتبعهم فرعون بجنوده، وأدركهم وهم على شاطئ البحر؛ حيث أصبحوا بين فكي كماشة، فبالحساب الدنيوي المادي: قضي على موسى ودعوته ومن آمن معه. أما بحساب الدعوات الصادقة؛ فالحساب مختلف كليًا، وقد حدثنا القرآن عن ذلك تعليمًا لنا وتسلية لنصبر على أمره ولا نحيد عنه،

فالعاقبة جعلها الله للمتقين، وتلك سنة ماضية لا تتخلف عن المؤمنين على مر الزمان. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾. وكذلك حصل مثل هذا الأمر مع رسولنا الكريم ومن معه من المؤمنين، والذين حاربهم كفار قريش، ولم يتركوا سبيلًا إلا وسلكوه للقضاء على دعوتهم، ثم بلغ بهم العداء، في نهاية المطاف أن يتآمروا لقتله وتوزيع دمه على القبائل. وفي هذا الظرف العصيب كان أمر الله هو الغالب، وتحدثنا السيرة أنه لما علمت قريش بتأييد أهل المدينة لرسول الله، فسرعان ما اتفقوا مع القبائل الأخرى بأن ترسل كل قبيلة أحد فتيانها الأقوياء الأشداء لقتل الرسول ﷺ لتتحمل كل القبائل دمه؛ وبذلك يتفرق دم سيدنا محمد على القبائل؛ فلا يطيق بنو هاشم بعدها قتال هذه القبائل، ولما علم رسول الله بذلك الأمر، وضع خطته المحكمة للهجرة؛ فطلب من المسلمين ترك مكة في أقرب وقت إلى المدينة، وطلب من أبي بكر الصديق، رضي الله تعالى عنه، شراء جملين للرحلة، ولما أتى أمر الله بالرحيل ليلًا، أمر ابن عمه علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، أن ينام في فراشه وأعطاه عباءته، وفي ذلك الوقت كان فتيان قريش ينتظرون خروج محمد لقتله بضربة سيف واحدة، ولكن قدرة الله تعالى وإرادته بالنصر كانت فوق كل شيء، فخرج الرسول أمام هؤلاء الفتية، وأخذ حفنة من التراب، وألقاها على وجوههم، فأعماهم الله تعالى عنه، (**وهذا تدخل ربانيٌّ**) ولما علمت قريش بخروجه صلى الله عليه وسلم، ذهلت لفقدها الرسول في مرقده، وأخذت تقتفي أثره حتى وصلت إلى غار ثور الذي فيه الرسول وصاحبه، ولكنهم وجدوا يمامة راقدة على بيضها، وعنكبوتًا قد نسج خيوطه على بابه (**وهذا تدخل ربانيٌّ**)، وجعل حصان سراقة تغور قدماه في التراب (**وهذا تدخل ربانيٌّ**)، وبهذه الخطة الماكرة التي مكرت بها قريش للقضاء على الدين، قضى الله أن تكون الهجرة التي أقام بها الدين، وجعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم وصوله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بداية للتاريخ الهجري وذلك لأهمية الحدث في إقامة الدين... وهكذا نرى في سيرة الدعوات الصادقة أنها تمر بمثل هذه الأوضاع كنتيجة للالتزام الحق، وهي بشير نصر وليست نذير شؤم ولا مبعث يأس.

وفي مقابل دعوتنا الصادقة المتأسية بطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي تمر بنفس صعوباتها وظروفها، فإننا نرى دعوات لم تلتزم بالطريقة الشرعية ، وبالتالي لم تستطع أن تصمد

أمام العواصف والضغوط، فغيَّرت وبدَّلت أكثر من مرة، وكان آخرها ما سمعناه من قريب من تغيير لحركة النهضة التونسية، والجماعة الإسلامية في لبنان، وحماس في فلسطين... ليس لمناهج عملهم فحسب، بل لأهدافهم التي أصبحت أقرب أكثر لطروحات الغرب في فهم الإسلام، والتي ما أنزل الله بها من سلطان والتي يريدون أن يحصِّلوا من ورائها رضى الغرب، على حساب رضى رب العالمين.

هذه الأوضاع الأليمة الذي تمر بها الأمة الإسلامية، يطمعنا بالقول إننا في مثل هذا الذي تمر به الدعوات الصادقة مما يسبق النصر، وهذا يتطلب منا شحذ الهمم لكي نقوم بالجهود المضاعفة، فبما أننا وصلنا إلى مرحلة أصبح الغرب يتقصد مشروعنا بالذات، فعلينا أن نكون أول المتصدِّين له، والله سبحانه الذي أوصل مشروعنا إلى أن يكون على رأس الصراع بيننا وبينه؛ فلا نملك إلا أن نكون على رأس المواجهة، وأن نسجل لأنفسنا نشاطًا يذكر لنا عند الله، وأن نري الله والأمة من أنفسنا كل خير، فإن لم نتقدم نحن تقدم غيرنا، وما نقدمه لهذه الدعوة نقدمه لأنفسنا. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

التفرّدُ الأميركي... أطماعٌ وتحدّيات

حمد طبيب – بيت المقدس

إن من طبيعة المبدأ الرأسمالي أنه مبدأ يرسخ وينمي فكرة الجشع والطمع وحب الذات، والتنافس والتطاحن من أجل المنافع المادية وحب السيطرة على الغير... وهذا الأمر ليس خاصًا بالأفراد وأصحاب رؤوس الأموال من البنوك والشركات وأصحاب الأعمال... إنما هو كذلك متأصل ومتجذّرٌ عند الدول القائمة على أفكار هذا المبدأ المادي الهابط... يقول المفكر الاقتصادي (آدم سميث) في كتاب (ثروة الأمم): «إن الجشع الشخصي هو أعلى مراتب الأخلاق؛ فبقدر ما يكون الفرد جشعًا يكون متخلقًا، وهذا ما آل بالإنسانية إلى الصراع والحروب من أجل التملك والسيطرة... فكان إهدار الثروة والتنافس في إهدارها أهم ما ميز الحضارة الحديثة...» ويقول (بيلي جيرو) في مؤلَّفِه (الكتاب الأسود للرأسمالية): «تتسلح الرأسمالية - ولتبرير أفعالها الجانحة وجرائمها الدموية - بمثل عليا نبيلة؛ مثل الدفاع عن الديمقراطية، الحرية، النضال ضد الديكتاتورية، الدفاع عن قيم الغرب، في حين إنها تدافع أصلًا عن مصالح طبقة مُتملكة، تريد أن تستولي على أموال وموارد الشعوب وفرض وصايتها عليها... ويساعد في نشر هذه السياسة حكام اقتصاديون وسياسيون وصحافة ووسائل إعلام...» وقد أدت هذه النظرة السقيمة الهابطة إلى الشرور والحروب والدمار والخراب، واستعمار الشعوب ومصّ دمائها... والعمل على إزالة الخصوم من ساحة الصراع؛ من أجل التفرد، والبقاء في حلبة الصراع بلا منافس أو حتى مشارك... فقد شهد العالم الرأسمالي حربين كبيرتين؛ الأولى (١٩١٨م-١٩١٤م)، والثانية (١٩٤٥م-١٩٣٩م) وأدت هاتان الحربان إلى الدمار والخراب، وملايين القتلى والجرحى والمعوقين؛ في المجتمعات الأوروبية والأميركية، حيث بلغت خسائر الحرب العالمية الأولى والثانية من الأرواح حوالى٨٠ مليون إنسان... وقد استخدمت أميركا في الحرب الثانية القنبلة النووية في اليابان؛ حيث قتلت أكثر من ٢٤٠٠٠٠ إنسان في دقيقة واحدة، عدا عن الأمراض المزمنة؛ التي خلفتها بسبب الإشعاعات النووية!!...

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، تشكل المسرح الدولي بثوبه الجديد، وبدأ التطاحن

والتنافس بين الدول الخارجة من الحرب (أميركا وأوروبا) من جهة، وبين (أميركا والاتحاد السوفياتي) من جهة أخرى .. وكان من أبرز معالم هذا المسرح الدولي بعد الحرب:

١- خروج أميركا منتصرة بقوة عسكرية كبيرة، وسلطان ونفوذ واسع؛ فكانت سيدة الدول الغربية، وقائدتها في المعسكر الغربي، ووضعت أوروبا الغربية تحت جناحها في المنظومة العسكرية الغربية (حلف الأطلسي ١٩٤٩م).

٢- بروز المعسكر الشرقي (بقيادة روسيا)؛ بقوة عسكرية كبيرة، وتشكل حلف وارسو مقابل الأطلسي ١٩٥٥م؛ حيث وضعت روسيا دول أوروبا الشرقية تحت جناحها لمواجهة خطر حلف الأطلسي...

٣- تشكيل القوانين الدولية عبر منظومة الأمم المتحدة (١٩٤٥م)، ووضع اتفاقات دولية خاصة باستخدام الأسلحة النووية، وحقوق الإنسان، والعلاقات بين الدول...

٤- عقدت الدول العظمى اتفاقًا اقتصاديًا شهيرًا بعد الحرب سنة ١٩٤٥م سمي باتفاق (بريتن وودز) وكان من أبرز بنودها (وضع الدولار عملة عالمية) ترتبط بها كل العملات بغطاء نقدي معين، بنسبة معينة من الذهب، وظل هذا الاتفاق ساري المفعول حتى سنة ١٩٧٠م حتى عُوِّم الدولار في عهد الرئيس نيكسون...

٥- استمرار التنافس - السياسي والعسكري - بين المعسكرين، وخاصة بين أميركا والاتحاد السوفياتي. وقد تقلَّب هذا التنافس بين حرب ساخنة وباردة، حتى وقعت معاهدة الوفاق بين العملاقين سنة ١٦١٩م من القرن الماضي...

٦- إن أوروبا المحطمة بسبب الحرب، كانت بحاجة إلى أميركا عسكريًا واقتصاديًا؛ اقتصاديًا لإعادة البناء، وعسكريًا لحمايتها من أطماع الاتحاد السوفياتي، في التوسع وبسط النفوذ نحو أوروبا؛ فكان مشروع مارشال لإعمار أوروبا، وكانت اتفاقات الحماية تحت مظلة حلف الأطلسي...

لقد ظل هذا الواقع الذي أفرزته الحرب العالمية - بتقسيماته وقوانينه - وظل التنافس بأشكاله المتعددة: الاقتصادية والسياسية والعسكرية، بين دول المعسكر الغربي فيما بينها، وبين المعسكر الغربي والشرقي. وقد كان هذا التنافس يتقلب بين حرب باردة، وسياسة وفاق، وحرب بالوكالة بين عملاء وأتباع العملاقين، إلى أن انتهى بالهزيمة التاريخية سنة ١٩٩٠م من القرن الماضي؛ حيث انهار المعسكر الشرقي، وانحلَّ حلف وارسو، وتناثرت أشلاء دوله إلى عدة دول؛

لا تربطها سوى علاقات سياسية واهية مع روسيا الاتحادية... وبانهيار الاتحاد السوفياتي فقد ظهر المسرح الدولي بشكله الجديد وهو (شبه التفرد الأميركي) في قيادة العالم ورسم سياساته بلا منافس أو منازع حقيقي، باستثناء بعض الأمور من المشاركات العسكرية والسياسية تقوم بها الدول الكبرى؛ إما مغرمة أو مرغمة؛ كما جرى في حرب الخليج الأولى والثانية، في العراق وأفغانستان، وكما يجري اليوم في أرض الشام...

لقد حاولت دول أوروبا أن تلمّ شملها فيما بينها، وتتقوى بنفسها بعد انتهاء المنظومة الشرقية، لكن محاولات أوروبا لم تؤتِ ثمارها في المسرح الدولي في الوقوف في وجه أميركا وغطرستها، وإن كانت قد آتت ثمارها في بعض الجوانب النقدية والاقتصادية... والسبب هو أن الاتحاد الأوروبي الذي تشكل في هذه المرحلة لا يملك مقومات الوحدة؛ لا تاريخيًا، ولا واقعيًا، ولا عرقيًا، عدا عن العداوات المتأصلة بين الدول والشعوب عبر الأزمان... ورغم ضعف منظومة هذا الاتحاد، فان أميركا لم تتركه وحده في الساحة يفعل ما يشاء، ويمضي في تقوية أواصر وحدته السياسية مستقبلًا؛ حيث إنها عملت (اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا) - كما عملت من قبل مع حلف وارسو- على عرقلته وإضعافه؛ تمهيدًا لتفكيكه نهائيًا مستقبلًا. وقد شجعت في الآونة الأخيرة بريطانيا على الخروج من هذه المنظومة لفتح الطريق أمام انشقاقات أخرى؛ حيث شجع (ترامب رئيس أميركا) البريطانيين على التصويت لصالح الانفصال، ودعا دولًا أخرى لحذو النهج البريطاني... ومع هذا التشجيع لم تتوانَ أميركا منذ نشأة هذا الاتحاد في محاربته اقتصادياً عن طريق أدواتها الاقتصادية، وعن طريق التحكمات في الدولار، وأسعار البورصة والنفط والذهب... ويمكن القول إن الاتحاد الأوروبي ليس بذي شأن كبير أمام أميركا وسياساتها، وخاصة بعد زوال الاتحاد السوفياتي من المسرح الدولي... بل إن أميركا تسخّر هذا الاتحاد في كثير من الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية، وهو مرغم لا يستطيع التحدي ولا التصدي لسياساتها، ولم يقف تسخير أميركا عند حد الاتحاد الأوروبي - كدول عظمى - بل إنها تسخر كذلك روسيا الاتحادية في خدمة مشاريعها السياسية والعسكرية والاقتصادية...

إن أطماع أميركا هذه الأيام - في الحقيقة - لا تقف عند حد تسخير دول الاتحاد الأوروبي وروسيا في خدمة مشاريعها السياسية، وفي غطرستها العسكرية، وأطماعها في دول العالم... بل إن أميركا تسعى إلى ما هو أكبر من التسخير؛ فإلى ماذا تسعى أميركا هذه الأيام في ظل الواقع الدولي الحالي، وما هي الأدوات التي تستخدمها لتحقيق أطماعها؟؟.

الحقيقة، إن أميركا اليوم تسعى إلى فرض واقع (التفرد الدولي والهيمنة العالمية بلا منازع). صحيح أنها الآن تفرض واقعًا من شبه التفرد بالمشاركة والمساعدة، إلا أن أميركا تطمع وتطمح إلى ما هو فوق ذلك. تطمح إلى التفرد دون منازع؛ ومن أجل ذلك، فإنها تحاول أن تقضي على خصومها المعاندين في الحلبة الدولية؛ بإضعافهم أو تحجيم دائرة نفوذهم في دائرة إقليمية مغلقة، أو تفكيك منظومتهم. وقد عبر عن ذلك بوش الابن في لقاء مع الرئيس الفرنسي في واشنطن في حرب الخليج الثانية؛ حيث قال: «إن الدول التي ليست مع الولايات المتحدة فهي ضدها، وإن أي شريك مع الولايات المتحدة يجب ألا يعبر عن تعاطفه فحسب، بل يجب أن يشارك بعمل». فهي أي (الولايات المتحدة) تقوم بأعمال عديدة لبلوغ هذه الغاية في (التفرد الدولي) منها:

أولًا: السعي لإضعاف الاتحاد الأوروبي، ومن ثم العمل على تفكيك هذا الاتحاد؛ وذلك عن طريق الضغوطات الاقتصادية، وافتعال الأزمات داخله؛ الاقتصادية والسياسية، وتشجيع بعض البلاد للخروج من منظومته...

ثانيًا: تسعى لإبقاء روسيا ضعيفة اقتصاديًا؛ تعيش في أزمات داخل اتحادها، وتلهث وراء أميركا من أجل تحقيق منافع ومصالح مادية، كما تسعى لإبعادها عن أي تفكير في الدخول في أحلاف مع الدول الأخرى مثل الصين، وذلك عن طريق الترهيب والترغيب...

الأمر الثالث: هو سعيها لجعل الصين دولة إقليمية، وذلك بالعمل على إفشال مشاريعها التوسعية بما جاورها من دول جنوب شرق آسيا؛ مثل فيتنام أو كوريا أو تايوان أو غيرها في بحر الصين الجنوبي... وبقائها تحت هيمنة الدولار، والحاجة إلى الأسواق الأميركية لتسويق بضاعتها...

الأمر الرابع: تسعى وتعمل لأن تبقى القوة العسكرية والاقتصادية الأولى على الدوام، وأن يكون الدولار الأميركي هو المهيمن على كل العملات العالمية دون منازع، وأن تبقى متفوقة في أسواقها وفي إنتاجها، أي حجم الإنتاج!!...

فهل تتمكن أميركا من الوصول إلى ما تطمح إليه دوليًا: من القضاء على الخصوم السياسيين والعسكريين، وإبقاء حلبة الصراع الدولي خالية من أي خصم لها مستقبلًا، وإبقاء دول العالم تسير خلف أعمالها السياسية دون معارض ولا منافس، وإبقاء عرش الدولار على ما هو عليه من الهيمنة النقدية؟!.

الحقيقة، إن أميركا لها أدوات وعملاء، ومناطق نفوذ تميزها عن غيرها من الدول - كما ذكرنا - ولكن هذا كله لم يجعلها حتى الآن تتفرد في القضايا الدولية كما تريد بشكل مطلق؛ أي بشكل متفرد تفردًا كاملًا... وقد جربت من قبل أن تخوض صراعًا عسكريًا أحاديَّ الجانب في العراق، مع مشاركة رمزية من بعض الدول... فكانت النتيجة كارثية عليها، وما زالت تعاني حتى اليوم من آثار هذه المغامرة؛ حيث كانت إحدى أسباب الأزمة المالية سنة ٢٠٠٨م؛ مما دفع الرئيس أوباما لأن يقول: «إن الولايات المتحدة لن تخوض حربًا برية أخرى في العراق بعد خروجها منه». فأميركا إن كانت عملاقًا في كل شيء، إلا أن هذا العملاق يعاني من أزمات داخلية عديد منها:

١- أزمات اقتصادية خانقة، تتمثل بارتفاع أرقام العجز في الميزان التجاري حيث بلغ حسب إحصائية وزارة التجارة الأميركية لسنة ٢٠١٧م ٥٠ مليار دولار، وارتفاع نسبة البطالة ٥,٧ سنة ٢٠١٦م، والتضخم ٢ ٪، وهو ما زال يعاني من آثار أزمة ٢٠٠٨م.

٢- أزمات سياسية داخل اتحاده، وقد هددت عدة ولايات سابقًا بالانفصال عن هذا الاتحاد بسبب الأزمات المتكررة... فقد جاء على لسان (ريك بيري) حاكم تكساس في اجتماع للمحافظين: «إنه يؤيد الانفصال عن الاتحاد»، وقال المتحدث باسم الحركة القومية في تكساس (ديف موندي): «إن الانفصال هو ردنا الوحيد؛ لأن الدولة الفدرالية متفتتة، ولم يعد ممكنًا إصلاحها مع طريقة عمل النظام السياسي الحالي».

٣- كراهية الشعب الأميركي للحروب خارج أرضه، وحبه للرفاه وبحبوحة العيش وكثرة الإنفاق والبذخ... حيث يقدر الاقتصاديون أن نفقات أميركا تفوق ناتجها القومي الضعفين...

٤- أزمات ومشاكل عرقية تتمثل في التمييز بين البيض والسود، وبين الإنجلو-سكسون وغيرهم... في السياسة والاقتصاد...

هذا من حيث الوضع الداخلي والأزمات، وطبيعة التركيبة الأميركية... وأما بالنسبة لموضوع الصين؛ فإنها في الحقيقة عملاق اقتصادي بلا شك، وهي تنمو يومًا بعد يوم بشكل سريع... إلا أنها لا تملك من الأدوات ما تملكه أميركا، ولا حتى ما يؤهلها لأنه تكون دولة مؤثرة في حلبة الصراع الدولي، وسياسة القضايا الدولية في المنظور القريب... فهي:

أولًا: دولة مرتبطة باتفاقات كبيرة مع أميركا اقتصاديًا؛ حيث تمثل صادرات الصين إلى أميركا ربع صادراتها إلى العالم تقريبًا...وهناك شركات أميركية كثيرة عابرة للقارات تمارس نشاطها

الاقتصادي داخل الصين... وفي الوقت نفسه، فان الصين تملك في خزينتها من الرصيد الدولاري ما يقارب ٣,٥ ترليون دولار حتى سنة ٢٠١٦م...

ثانيًا: الصين دولة مقطوعة الشرايين في الخارج؛ من حيث مناطق النفوذ؛ فهي ليست كأميركا، ولا حتى دول أوروبا من هذه الناحية... ويمكن القول: إنها منكفئة على نفسها، أو على محيطها من بعض الدول المجاورة...

ثالثًا: لا تملك من التفوق العسكري ما تملكه أميركا؛ لا من حيث التقدم والتقنية، ولا من حيث القواعد العسكرية عبر العالم، ولا في مشروع حرب النجوم، ولا في سلاح الردع ولا غير ذلك...

ومع ذلك فإن أميركا لا تريد لهذا العملاق الاقتصادي أن يخرج عن دائرته الإقليمية إلى دول أخرى، أو أن يفكر في تقارب دولي مع روسيا، أو أي من دول أوروبا... لأنه بذلك يصبح للصين قوة إضافية تمكنها من التنامي الاقتصادي فوق الحد المرغوب به أميركيًا، وبالتالي فإن الصين يمكن أن تنفذ بعض ما تصبو إليه من التخلص من الرصيد الدولاري، ومن هيمنة الدولار عالميًا.. وبذلك توجه ضربة قاضية للاقتصادي الأميركي، إن لم يكن للاتحاد الأميركي برمته؛ لذلك فان سياسة أميركا تجاه الصين تتمثل في أمور منها:

١- الإبقاء على هيمنة الدولار كعملة عالمية، وترهيب الصين من أي تفكير مستقبلي بالتخلي عن الدولار؛ ولهذا كانت ردة الفعل عند أميركا قوية عندما بدأت الصين باستبدال بعض رصيدها من الدولار بالذهب، حيث عمدت أميركا إلى التهديد بإلغاء اتفاقية التعرفة الجمركية، وهددت كذلك بتقليص الواردات من الصين والتي تشكل حوالي ٢٥ ٪، وقامت برفع سعر الفائدة أكثر من مرة...

٢- اتخاذ الربط الاقتصادي مع التجارة والصناعة الصينية أداة ضغط دائمة للإبقاء على الهيمنة الأميركية، وعدم تفكير الصين بالانفصال الاقتصادي أو التحرر من هذه الهيمنة...

٣- العمل على إضعاف الروابط الخارجية مع الصين وخاصة مع الدول المجاورة؛ كي لا تقوى وتتوسع دائرة قوتها الاقتصادية، وخاصة مع المستعمرات القريبة القديمة، أو مع روسيا...

٤- العمل على إبعاد روسيا عن الصين، وتسخيرها في إضعاف الصين، بدل التقوّي بها ضد معسكر أميركا وأطماعها...

٥- إدخال الصين في سباقات عسكرية واقتصادية تؤدي إلى إرهاقها؛ كما فعلت مع روسيا

ومع دول أوروبا هذه الأيام... وكان آخرها رفع قيمة الفائدة؛ مما اضطر الصين كذلك إلى رفعها مجاراةً لأميركا، مما تسبب بإرهاق التجارة الخارجية نتيجة ارتفاع الأسعار...

فهل تستطيع أميركا الإبقاء على الصين دولة إقليمية محجمة، وفي الوقت نفسه، تحت رحمة الدولار والأسواق الأميركية؟! أم إن الصين سوف تستعيد تاريخها القديم كدولة مؤثرة وقائدة للدول المجاورة لها في جنوب شرق آسيا، ومن ثم تقف ندًا لأميركا بدل المعسكر الشرقي الفاني؟!...

إن الصين لا تملك حتى الآن ما يؤهلها لأن تنعتق من هذه السطوة الأميركية، وإن محاولاتها بتوسيع دائرة نفوذها الاقتصادي حتى في الدول المجاورة تزعج أميركا، وتستطيع أميركا بأدواتها وقدراتها وأحلافها الدولية والإقليمية أن تردع الصين، وتمنعها من السير في هذا الاتجاه... ولا تستطيع الصين - كما ذكرنا - أن تخرج عن هذه السطوة إلا بمساعدة دولة كبرى لها تأثيرها وقوتها؛ مثل روسيا إذا سارت معها، ولا يمكن لروسيا أن تسير مع الصين وتجازف هذه المجازفة الخطرة لأن مصالحها مع أميركا أقوى وأفضل من مجازفة غير مأمونة العواقب، وإن روسيا تخشى من عواقب هذا الفعل من أميركا.

من هذا الباب نقول: بأن الدول الفاعلة على المسرح الدولي حاليًا ليس عندها المقومات، لا الاقتصادية، ولا السياسية لتقف أمام عنجهية أميركا وسعيها نحو التفرد العالمي؛ لا الاتحاد الأوروبي، ولا روسيا، ولا الصين، بشكل منفرد... وإن أي تقارب بين هذه الدول ليس في الحسابات الحالية... وفي الوقت نفسه، فإن أميركا بأزماتها ووضعها الداخلي وضعف الرابطة بين اتحادها لا يمكنها أن تتفرد في سياسة وتقرير مصير العالم دون مساعدة ومساندة من الدول الكبرى... وإن هذا الأمر سيبقى على ما هو عليه في المسرح الدولي، وفي حلبة الصراع الدولي حتى تبرز دولة مبدئية لها قوتها ولها سيادتها، ولها فكرها المميز، ولا تحسب حسابًا لا لأميركا ولا لغيرها... عندها، فإن أميركا وغيرها من الدول ستنزل عن عرشها المخادع المتسلط على دماء الناس ولقمة عيشهم... وشيئًا فشيئًا فان هذه الدولة ستسحب البساط من تحت هذه الدول الواهية؛ أولها الولايات المتحدة... وهذا الأمر لا يتحقق إلا بدولة واحدة هي دولة الخلافة الراشدة الموعودة... فنسأله تعالى أن يكرمنا بها عما قريب لنتخلص من ظلم الدول الشريرة، وننعم في ظل عدل الإسلام... آمين يا رب العالمين...

بسم الله الرحمن الرحيم

ثروات السودان... بين الواقع المرير والمستقبل المشرق

سليمان الدسيس

عضو مجلس حزب التحرير/ولاية السودان

تعال معي نتأمل في عجالة، نقف على بعض النقاط التي تعبر عن واقع الثروات في السودان وكيفية التعامل معها. وقبل أن نشرح ونفصل ونكشف الستار عن الحقائق نطرح التساؤلات التالية:

١- لماذا تستورد حكومة السودان القمح (الغذاء الرئيسي) في الوقت الذي يملك فيه السودان ٢٠٠ مليون فدان أراضي صالحة للزراعة؟

٢- ولماذا تستورد الحكومة الفواكه والخضار، مع أن السودان يملك أكبر وأكثر الأراضي خصوبة، وأكبر احتياطي من المياه العذبة؟

٣- لماذا يستورد السودان الألبان المجففة من دول لا تساوي ١٠٠/١ من مساحاتها الرعوية بالنسبة للسودان، مع أن قيمة الحليب المراق على الأرض يقدر بسبعمائة مليون دولار سنويًا؟! (تقرير لقناة الجزيرة ٢٠٠٨/٦/١٦م).

٤- ومن العجيب الغريب أن أسعار اللحوم من أغلى أسعار السلع في الوقت الذي فيه السودان سادس أكبر ثروة حيوانية في العالم.

٥- لماذا تستورد حكومة السودان النفط مع أن المخزون الاستراتيجي من النفط في السودان يفوق نفط الكويت ودول الخليج مجتمعة عدا السعودية، والإنتاج اليومي ١٢٢ ألف برميل؟ ولماذا ولماذا؟؟ والقائمة تطول...

يامن عصيت الله يومًا غـــافلًا أنسيت أن الله قد أعطاكَ
نعمٌ عليك كثـــيرة لو صـــنتَها لأطعتَ خالقَك الذي رباكَ
تجرؤ على فعل المعاصي قاصدًا فتظنُّ أن الله ليس يـــراكَ
يامن عصـيتَ اللهَ يومًا غـــافلًا أنســـــيتَ أن اللهَ يراكَ

قال مسؤول سوداني، إن بلاده تستورد استهلاكها من القمح البالغ نحو مليوني طن، من روسيا في شكل قرض سلعي (٢٠١٥/٦/١١م سودانتربيون). كما أعلن نائب الرئيس السوداني حسبو محمد عبدالرحمن، أن استيراد سلعة القمح من الخارج يكلف الخزينة المركزية للحكومة حوالى مليار دولار سنويًا (٢٠١٧/٢/١م، موقع النيلين الإلكتروني). ويتجاوز استهلاك السودان من القمح مليوني طن سنويًا، في حين تنتج البلاد ما لا يتجاوز ١٢ إلى ١٧٪ من الاستهلاك السنوي (سودانتربيون).

تستورد حكومة السودان مليوني طن من القمح سنويًا، وفي الغالب عن طريق الاقتراض من روسيا وغيرها من الدول الاستعمارية. في حين أن القمح يعتبر سلعة استراتيجية في الأمن الغذائي، وأن العجز الغذائي يعني التبعيّة الغذائيّة؛ أي الخضوع لمزاج الدول الاستعمارية الكافرة، الأمر الذي يؤدي إلى التبعيّة السياسيّة من منطلق من لا يملك قوته لا يملك إرادته، مما يعني أن العلاقة بين الغذاء والثمن علاقة سياسية، هي تقترض لكي تأكل قروضًا تجارية بفوائد ضخمة. فالقمح يعتبر من مواد الغذاء التي لايمكن الاستغناء عنه، ويمكن أن يتحول من مجرد سلعة تباع وتشترى إلى سلعة استراتيجيّة، شأنها شأن المعدات العسكريّة، أو السلاح، بمعنى أنها تباع وتشترى بأثمانٍ سياسيّة، ففي هذه يعمد العملاء (حكام السودان) على أن يدفعوا الثمن الذي يفرضه الآخرون، والنتيجة تعميق التبعيّة الغذائيّة الثمرة المرة للتبعيّة السياسيّة التي هي الانتحار السياسي.

لقد أصبح الغذاء في عالمنا سلاحًا سياسيًا مستخدمًا ببراعة في تذويب مقاومة الشعوب الفقيرة وإخضاعها لسياسة الدول التي تمسك بمفاتيح مخازن الغلال في العالم، وقد جاء في تعليق لجيرالد فورد عندما كان رئيسًا للولايات المتحدة الأميركية (من الآن فصاعدًا، لم يعد هناك حاجة للولايات المتحدة الأميركية للتهديد بحاملات الطائرات وبرجال البحرية من أجل تهدئة عالم ثالث كثير الحركة؛ فالترسانة الأميركية تضم سلاحًا صعبًا ورهيبًا وذا فاعلية، ولاسيما الغذاء).

إن السودان اليوم يعاني من عجز بالنسبة لمحصول القمح يتم تغطيته عن طريق الاستيراد في شكل قروض سلعية باهظة الثمن من الدول الاستعمارية، كما أنّ حدة هذا العجز تتزايد على مر السنين. ومما يزيد في خطورة المشكلة تزايد الاعتماد على الخارج في توفير الواردات من الحبوب.

إذا أخذنا وقفة على ثروات السودان التي أعطاها الله تعالى إليه نجد الآتي:

إن الأراضي الصالحة للزراعة في السودان تقدر بـ ٢٠٠ مليون فدان أراضٍ مسطحة على درجة عالية من الخصوبة، منحدرة انحدارًا طبيعيًا من الجنوب إلى الشمال، مما يعني أن ري

هذه الأراضي بلا تكلفة تذكر فتروى بالري الانسيابي نتيجة الانحدار الطبيعي في هذه الأرض المباركة، التي أنعم الله بها على أهل السودان، مع توافر المياه بشتى مصادرها من مياه أنهار ومجارٍ كثيرة وأمطار، بالإضافة إلى مخزون كبير جدًا من المياه الجوفية، ومصادر المياه في السودان مدركة لا تحتاج إلى أرقام أو معلومات؛ فهي من الأشياء المشاهدة التي لا يختلف عليها اثنان.

فإذا كان هناك دولة مسؤولة عن تأمين الغذاء لرعاياها، فلتقمْ وبكل بساطة بزراعة مشروع الجزيرة، والذي تبلغ مساحته ٢,٢ مليون فدان، والذي يعادل واحدًا في المائة من المساحة الكلية الصالحة للزراعة في السودان آنفة الذكر. مما هو معلوم أن متوسط إنتاج الفدان في مشروع الجزيرة من القمح ٢,٥ إلى ٣ طن في الموسم الشتوي للقمح، وأكد ذلك الشيخ محمد علي محمد أحمد أمين أمانة الزراع والرعاة بولاية الجزيرة في تصريح لـ (سونا) حيث بلغ إنتاج الفدان الواحد ٣٠ جوال زنة ١٠٠كلجم في العام ٢٠١٥م (المركز السوداني للخدمات الصحفية- الصفحة الإلكترونية)؛ مما يعني ٢,٢ مليون فدان × ٢,٥ طن= النتيجة ٥,٥ مليون طن من القمح تكفي للاستهلاك المحلي البالغ ٢مليون طن، ويمكن تصدير ٣,٥ مليون طن × ٤٣٠ دولار سعر طن القمح العالمي ليكون العائد من تصدير القمح = ١,٥ مليار دولار سنويًا، بدل أن تستورد هذه الحكومة قمحًا سنويًا يكلف الخزينة العامة أكثر من مليار دولار، بالإضافة إلى الفوائد الربوية المترتبة على صفقات القروض السلعية على غذائنا الرئيسي القمح.

المحاصيل الزراعية في السودان:

بالإمكان زراعة آلاف الأصناف من المنتجات الزراعية في السودان، ولكننا سنستعمل محصولين زراعيين فقط كنماذج وأمثلة على ما يمكن تحقيقه لا للحصر، وهما:

محصول البطاطس كمثال في الزراعة المروية، ومحصول الفول السوداني كمثال في الزراعة المطرية، كما سيتم اعتماد متوسط إنتاجية الفدان لهذه المحاصيل في كل من مصر وأميركا نسبة لاستخدام هذه الدول تقنيات الإنتاج الحديثة.

ملحوظة: بالإمكان تحقيق نفس إنتاجيات هذه الدول بدليل وجود أمثلة داخل السودان لإنتاجيات عالية مشابهة؛ ولكن للأسف لم يتم الاستفادة منها، ولم يتم الاهتمام بها.

أولًا: الزراعة المروية

وسنستخدم فيها محصول البطاطس كمثال لما يمكن تحقيقه:

معطيات زراعة البطاطس:

١- متوسط إنتاجية فدان البطاطس في مشروع شرق العوينات للري المحوري في جمهورية

مصر العربية = ١٥ طن للفدان، وهو الرقم الذي سيستخدم في حساباتنا على سبيل المثال.

ملحوظة: في مشروع الأرقم غرب أم درمان تم تحقيق إنتاجية = ٢٨ طن للفدان.(الموسوعة السودانية للعلوم الزراعية، موقع إلكتروني).

٢- إمكانات السودان السنوية من المياه الجارية = ٢٥ مليار متر مكعب من المياه.

٣- استهلاك فدان البطاطس من المياه = ٣٠٠٠ متر مكعب «عند استخدام الري المحوري».

وهذا يعني أننا إذا قمنا بزراعة ٢ مليون فدان، والتي تحتاج إلى ٦ مليار متر مكعب من المياه؛ فستكون النتيجة المذهلة كالآتي:

٢مليون فدان × ١٥ طن متوسط إنتاج الفدان = سيكون الإنتاج الكلي للبطاطس هو٣٠ مليون طن.

٣٠مليون طن × ٤٢٠ دولار (السعر العالمي لطن البطاطس) = النتيجة ١٢,٦ مليار دولار.

ثانيا: الزراعة المطرية

إذا تم استغلال ١٠٠ مليون فدان في زراعة الفول السوداني من إجمالي الـ١٢٠ مليون فدان الواقعة جنوب خط ٤٠٠مم؛ فستكون النتيجة كالاتي: متوسط إنتاج فدان الفول السوداني المطرى في أميركا = ٢٦٠٠ رطل لكل فدان = ١١٨٠ كيلو جرام للفدان. اذا تم تطوير إنتاجية الفدان في السودان من الفول السوداني باستخدام الحزم التقنية الحديثة لتوازي هذا الرقم.

إنتاجية فدان الفول المطري باستخدام الوسائل التقليدية في السودان حاليًا = ٢١٦ كجم لكل فدان.

فإذا تم استخدام التفنية الحديثة سيكون إنتاج السودان الكلي من الفول السوداني = ١١٨٠ كجم للفدان مضروبة في ١٠٠ مليون فدان = ١١٨ مليون طن من الفول السوداني.

وإذا تم استخدام هذا المحصول المنتج في صناعة الزيوت ستكون كمية الزيت المنتجة حسب المعطيات التالية كالاتي:

المعطيات: تشكل البذرة ٧٠ ٪ من وزن محصول الفول، و تشكل القشرة الـ٣٠٪ الباقية، وزن الزيت الذي يمكن استخلاصه من البذرة يشكل ٤٨٪ من وزنها، اذًا لحساب كمية الزيت المنتجة سنقوم بالحسابات التالية:

٠,٧ هي نسبة وزن البذرة × ١١٨مليون طن × ٠,٤٨هي نسبة الزيت إلى البذرة = ٣٩,٦ مليون طن من الزيت. وبمعرفة أن سعر طن زيت الفول السوداني = ٢٢٠٠ دولار للطن، سيكون العائد الإجمالي لزيت الفول =٢٢٠٠ دولار×٣٩,٦ مليون طن، النتيجة = ٨٧,٢ مليار دولار.

ملحوظة: وإذا تمت الحسابات بالإنتاجية الحالية للفدان الفول السوداني ستكون النتيجة

أن عائدات الفول تساوي ١٥ مليار دولار.

ومن النتائج الثانوية لعملية العصر تنتج مادة تسمى الأمباز، وهي بقايا بذرة الفول الخالية من الزيت، وتستخدم كعلف للدواجن والماشية، ولحساب كمية الأمباز المستخرجة نقوم بالعملية الحسابية التالية:

كمية الأمباز المستخرج =١١٥× ٠,٧ مليون طن × ٠,٥٢ = ٤٣ مليون طن من الأمباز.

وبمعرفة أن متوسط سعر طن الأمباز = ٢٣٠ دولار للطن

يكون العائد الإجمالي للأمباز لزيت الفول=٢٣٠ دولار× ٤٣ مليون طن= ٩,٩ مليار دولار

الخلاصة:

عائدات صادر القمح = ١,٥ مليار دولار.

عائدات البطاطس = ١٢,٦مليار دولار.

عائدات زيت الفول السوداني = ٨٧,٢ مليار دولار.

عائدات الأمباز = ٩,٩ مليار دولار.

المجموع = ١١١,٢ مليار دولار.

وهذه عائدات ثلاثة محاصيل زراعية، وهذا الأمر في غاية البساطة وبأقل التكاليف، والذي يساوي ٢٠ ضعف ميزانية السودان الحالية البالغة ٥,٥ مليار دولار.

وقبل أن ندخل في تفاصيل الثروة الحيوانية، نورد مثالًا لتوضيح مسائل كثيرة عجيبة:

مساحة هولندا = ٤١,٥٠٠ كيلومتر مربع، تبلغ متوسط نسبة مساحة الأراضي المستخدمة للزراعة من المساحة الكلية للبلاد حوالي ٢٨٪.، يعني مايعادل ١٢ ألف كيلو متر مربع يعني بحسابات أهل القضارف عدد ١٢ مشروع زراعي فقط. في الوقت الذي تنتج فيه هولندا ٧ مليون طن من البطاطس، و٦ مليون طن من بنجر السكر.

وتشكل صادرات هولندا من الطماطم ربع صادرات العالم، كما تجري التجارة عبر البلاد في ثلث صادرات العالم من الفليفلة والطماطم والخيار. كذلك تشكل صادرات التفاح المنتج في هولندا خمس صادرات العالم تقريبًا.

وهناك حوالى ٣,٧٥ مليون رأس من الأبقار، في الوقت الذي يملك فيه السودان ٣٠ مليون رأس من الأبقار(بوابة أفريقيا الإخبارية) ويستورد السودان وللأسف الشديد الألبان المجففة من البلد الذي يملك ١٠/١ مما يمتلك السودان من أبقار، وهذا يشير إلى انقلاب المعادلة: (الغني يقف متسولًا على باب الفقير) يا للعجب!!.

وتعتبر هولندا الدولة الثانية على مستوى العالم فيما يتعلق بقيمة الصادرات الزراعية؛

وذلك بعد الولايات المتحدة؛ حيث بلغت قيمة الصادرات ٥٥ مليار دولار سنويًا.

يبلغ تعداد الثروة الحيوانية بمناطق السودان المختلفة ١٠٤ ملايين رأس من المواشي المختلفة. (بروفيسور ابتسام سيد أحمد قريش المدير العام لهيئة بحوث الثروة الحيوانية في ورقتها التي قدمتها في المؤتمر العلمي البيطري الذي انعقد بالأبيض ٢٠١٦/٥/١م). تفاصيلها (٣٠ مليون رأس أبقار، ٣٧ مليون رأس أغنام، ٣٣ مليون رأس ماعز، ٣ مليون رأس من الإبل)، ومن المعروف بداهة أن الضأن أو الماعز يتضاعف خمس مرات في العام على الأقل، مما يعني ٧٠ مليون ستنتج ٢٨٠ مليون رأس جديد، ويمكننا أن نصدر نصف إنتاج الضأن والماعز ١٤٠ مليون رأس، والأبقار والإبل تتضاعف مرة في كل عامين على الأقل، يعني ستنتج في خلال عام ١٥ مليون رأس من البقر و١,٥ مليون من الإبل.

فإذا وضعنا في الحسبان أننا سنصدر اللحوم، تكون النتيجة سنويًا كالآتي:

١٤٠ مليون من الضأن والماعز × ٤٠ كيلو متوسط وزن الرأس من الضأن = ٥,٦ مليار كيلو لحم.

١٥ مليون من البقر × ٣٥٠ كيلو متوسط وزن الرأس من البقر = ٥,٣ مليار كيلو لحم.

١٠,٩ مليار كيلو لحم × ٤ دولار سعر تصدير كيلو اللحم = يكون عائد صادرات اللحوم سنويًا ٤٣,٦ مليار دولار.

أما انتاج الذهب:

ارتفع إنتاج السودان من الذهب في نهاية العام ٢٠١٦م إلى ٩٣,٤ طنًا، كشف وزير المعادن السوداني أحمد محمد صادق الكاروري عن هذه الأرقام في مؤتمر صحفي بالخرطوم ٢٠١٧/١/٤م. هذا الذي اعترفت به الحكومة المجرمة وماخفي أعظم.

نأتي لحسابات عائدات الذهب في السودان، حسب الأرقام التي اعترفت بها الحكومة:

٩٣طن = ٩٣ مليون جرام لأن الطن = ١٠٠٠ كلجم ويساوي مليون جرام.

٩٣ مليون جرام × ٣٩,٨٧ سعر جرام الذهب العالمي = ٣,٧ مليار دولار.

وتكون نتيجة صادرات القمح والبطاطس والفول والذهب فقط فقط كالآتي:

١- صادرات القمح = ١,٥ مليار دولار.

٢- البطاطس والفول = ١١١,٢ مليار دولار.

٣ -عائدات اللحوم = ٤٣,٦

٤- الذهب = ٣,٧ مليار دولار. (مع أن الذهب في دولة الخلافة لا نصدره)

جملة صادرات خمس سلع = ١٦٠ مليار دولار، والذي يعادل أكثر من ٢٣ مرة صادرات

السودان الحالية البالغة ٧ مليار دولار تقريبًا. إن الناظر إلى هذه الأرقام المدهشة للثروات التي حظي بها السودان، يتحرق شوقًا إلى كيان سياسي مبدئي يرعى شؤون هذا البلد، ويدير هذه الثروات العظيمة؛ لينعم أهله برغد العيش وحياة الرفاه الكريمة، بدل الذل الهوان والفقر الذي يتكبدونه الآن. إن هذه الثروات تحتاج إلى دولة ترعى شؤون الناس لتقوم بواجب رباني فرضه رب العالمين منزل هذه الخيرات والثروات.

فمن لهذا الظلم والطغيان الذي تعيشه أمتنا العظيمة؟! ومن لهؤلاء الظلمة الذين يتربعون على صدور العباد والبلاد، يبيعون البلاد وثرواتها لأعدائنا بلا ثمن؛ لينعم بها الكفار المستعمرين ونموت نحن في جوارها من الجوع والفقر، يعيش غيرنا بأموالنا وثرواتنا وينعم بها ونتجرع نحن الذل والهوان؟! فمن نحن؟ هل نسينا من نحن؟ نحن خير أمة أخرجت للناس، هكذا سمانا رب العزة في علاه، فيا أتباع محمد، خير البشرية، مخرج الناس من الظلمات إلى النور... يا أحفاد الخطاب... ويا أحفاد الذي نادى السحاب أمطري حيث شئت... يا أحفاد صلاح الدين وجلال الدين وقطز، الذين أذاقوا الكفار ويلات العذاب. من لهؤلاء إن لم نكن نحن شباب حزب التحرير، فهيا نعيدها خلافة على منهج النبوة دولة تعيد سلطان الأمة المسلوب، ومال المسلمين المنهوب، فهبوا يا شباب الإسلام لتأتي دولة الخلافة، لنسعَ بدأب وجلد إلى نشر الهدى وإحقاق الحق وتثبيت راية العقاب على كل أرض تُطَهَّرُ من الكفر والشرك والظلمات، والله سبحانه على كل شيء قدير.

سأبقى هادرًا، بيدي الحُسامُ ... تُدقُّ بهِ الجماجِمُ والعِظامُ
سأَبْقى، أستظِلُّ ذُرا لِوائي ... وفِي عَينَيَّ جَمْرٌ واضْطِرامُ
أوتاري أزيزٌ مِنْ رصاصٍ ... يُشنِّفُ مَسمَعي، والنّاسُ ناموا
وقُرآني يُساوِرُ نُسْغَ قلبي ... ويأنَفُ أن يُلامِسَهُ الحَرامُ
إذا الطَّاغُوتُ لَمْ يَسْمَعْ زَئيرِي ... فَهَلْ يُجْدي رُكوعٌ أو قِيامُ؟
فيا شُهُبَ البُطولةِ دَمِّريهم ... وقولي لِلْكِلابِ: أتى الطَّعامُ
(أرانِبُ غيرَ أنّهمُ ملوكٌ ... مفتَّحَةٌ عيونُهمُ نيامُ!)
سأبقى هادرًا، أجتاحُ خوفي ... وأُحرِقُ أدمعي، ليرى الأنامُ
هُوَ النَّصْرُ المُؤَزَّرُ فارقُبينا ... سماءَ الخرطومِ، قدْ أزِفَ الختامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع العقوبات عن السودان...

مكر أميركا لإظهار العلمانية، وتفتيت ما تبقَّى من البلاد.

محمد جامع (أبو أيمن)
مساعد الناطق الرسمي لحزب التحرير/ ولاية السودان

أصدر الرئيس الأميركي السابق (باراك أوباما) يوم الجمعة ٢٠١٧/٠١/١٣م، قرارًا بإلغاء الأمرين التنفيذيين رقم (١٣٠٦٧)، الصادر بتاريخ ١٩٩٧/١١/٠٥م، ورقم (١٣٤١٢) الصادر بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/١٧م، واللذين بموجبهما فرضت أميركا عقوبات اقتصادية على السودان. وعلى أثر ذلك أصدرت الخارجية السودانية بيانًا، رحبت فيه بالخطوة، وهللت لها، وعدتها نصرًا مؤزرًا، وأكدت تصميم السودان على مواصلة التعاون والحوار لرفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب، وتجاوز كافة العقبات أمام طريق التطبيع الكامل للعلاقات بين البلدين!!.

وقد جاء في الأمر التنفيذي الصادر من الرئيس السابق (أوباما)، والذي نشره البيت الأبيض في يوم الجمعة ٢٠١٧/٠١/١٣م، أن الرفع النهائي لهذه العقوبات سيتأخر (١٨٠) يومًا (ستة أشهر)، في تحرك يستهدف تشجيع السودان على استمرار مساعيه، التي بذلها خلال الأشهر الستة الماضية، بشأن حقوق الإنسان، والإرهاب. (سودان تربيون ٢٠١٧/٠١/١٣م).

قبل تناول هذا الموضوع الذي يشغل الرأي العام في السودان، كان لا بد من الإشارة إلى الآتي:

هل يمكن أن ترضى أميركا عن أهل السودان مع مطالبتهم بتطبيق الإسلام؟! وهل تقبل أميركا بانتعاش الاقتصاد السوداني وارتفاع الجنيه على حساب عملتها الدولار؟! وهل أميركا جمعية خيرية تتصدق على الفقراء والمحتاجين؟! لماذا لم تحقق أميركا الخير لأهل العراق وهو يعيش تحت الوصاية الأميركية منذ ٢٠٠٣م؟! لماذا لم يقوَ الاقتصاد المصري ويتعافى، بل لماذا لم يقوَ الجنيه المصري وأميركا تدعم الأنظمة الموالية لها في مصر منذ عهد جمال عبد الناصر إلى نظام السيسي؟! ألا تعتبر نيجيريا أكبر دولة منتجة للنفط في أفريقيا؟! أوَليست الشركات الأميركية هي التي تصول وتجول في نيجيريا، فلماذا يواجه أهل نيجيريا الفقر المدقع؟!.

هل هنالك عاقل لا يعلم أن أميركا دولة استعمارية طامعة في بلاد المسلمين الغنية بخيراتها ومواردها؟ وهل يمكن أن تُحل مشاكل المسلمين بغير الإسلام؟

ثم، ماذا قدمت الحكومة من تنازلات وخضوع وشروط مذلة حتى تجد هذا الود الأميركي غير الطبيعي!

يقول أحد الصحفيين: «بدأ الدور الأميركي تجاه الأزمات السودانية والتي تفتعل أميركا بعضها «ابتزازًا» أكثر من كونه دورًا «وسطيًا» لتفعيل العلاقات الثنائية بين البلدين، وبدت الإدارة الأميركية، تستخدم القضايا والأزمات السودانية، ومحاربة الإرهاب أوراق ضغط لإرغام السودان على المزيد من التنازلات، والتعامل مع المصالح الأميركية»، ففي حوار أجرته صحيفة السوداني العدد (٣٩٦٦)- يوم الأثنين ٢٣ يناير ٢٠١٧م الموافق ٢٥ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ مع مستشار ملف السودان بمعهد السلام الأميركي، مكي إبراهيم مكي، وفي إجابة عن أسئلة منها: (هل القرار مرتبط بتقدم في مسارات السلام، سواء عبر السلام الوطني والخارطة الأفريقية، أم يرتبط بحرص الديمقراطيين على ترك تراث أو بصمة سياسية في مقابل الجمهوريين؟). أجاب: «يمكن القول إن قرار رفع العقوبات سببه أجندة أميركية معقدة، والقرار يرتبط بصورة مباشرة باستجابات النظام المتواترة في أداء (الهوم وورك) المرتبط بالمصالح الأميركية الدولية فيما يتعلق بقضايا مكافحة الإرهاب، والتعاون الاستخباري المفتوح، وقضايا النزاعات الإقليمية خصوصاً ليبيا».

وفي سؤال آخر(هذا يعني أن السودان أضحى في أولويات الاستراتيجية الأميركية بالمنطقة؟) أجاب: «نعم؛ لأن لكل بُعد من هذه الأبعاد دور مهم في رسم ملامح ما انتهت إليه الإدارة الأميركية بشأن السودان... بل يعزز ذلك استسلام الخرطوم لشروط مؤسسات التمويل الدولية ذات الوصفة الأميركية، بالإضافة إلى دخول الاتحاد الأوروبي على الخط في مسألة مكافحة الهجرة غير الشرعية التي يمثل السودان أحد المعابر المهمة فيها؛ لذا من الصعب ربط هذا التحول في موقف الإدارة الأميركية فقط بمسار الحرب والسلام في السودان» (انتهى).

فلا يخفى على أحد مشاركة نظام الإنقاذ في ما يسمى بالحرب على الإرهاب، قبل رفع العقوبات بمدة طويلة؛ حيث نشرت صحيفة واشنطن تايمز بعنوان كبير: (السودان يخطب ود أميركا بمحاربة الإرهاب)، يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٦/٥/١٨ م، حيث ذكرت في حوار أجرته مع السفير السوداني لدى أميركا معاوية عثمان خالد قوله: «إن بلاده سبق أن سلمت معلومات هامة لأجهزة الأمن الأميركية والحليفة بشأن أنشطة تنظيم الدولة في ليبيا ومصر والصومال وغيرها بشمال أفريقيا».

وقال مدير جهاز الأمن والمخابرات السوداني محمد عطا المولى السبت ٢٠١٧/١/١٤م في تصريح صحافي: «ننسق ونتعاون مع الولايات المتحدة منذ ما قبل العام ٢٠٠٠ في مجال مكافحة الإرهاب»، مضيفًا: «نفعل ذلك لأننا جزء من هذا العالم، ونتأثر بما يحدث في دول الجوار مثل ليبيا، وحتى بما يجري في سوريا» (فرانس ٢٤).

يقول القائم بالأعمال الأميركي: «لا أحتاج أن أعطي درسًا في التاريخ لأسباب اتهام السودان برعاية الإرهاب»! وقال: «على السودان الكثير للوصول إلى المعايير الخاصة لرفع اسمه من قائمة

الإرهاب». وقال «إن السودان كان شريكًا في مكافحة جماعات (إرهابية)، في شمال أفريقيا ومنطقة الشام، وإنه اجتهد لتأمين بعض المداخل بما في ذلك الحدود السودانية – الليبية» وقال: «نحن الآن مسرورون لأن السودان يعمل على (الإرهابيين) داخل السودان، ويعمل جاهدًا ألا يكون ملاذًا للإرهاب».

علمنة السودان:

تظهر تمامًا خطوات نظام الإنقاذ اللاهثة لنزع شعار الإسلام وإظهار العلمانية، وقد وضح ذلك في تغيير الخطاب العام الذي استخدمه النظام في تسعينات القرن الماضي، لدغدغة مشاعر المسلمين، والذي كان يتستر به لخداع الناس. أما الآن، فقد تم السكوت عن دولة الشريعة والتبشير بها، بل تحولت للدعوة إلى دولة ديموقراطية حديثة لإرضاء أميركا في ما يسمى بملف الإرهاب؛ لإبعاد كل شكل من أشكال الإسلام باسم الحرب على الإرهاب، كما تدعم القنوات الفضائية السودانية والراديوات الموجهة الانحلال الأخلاقي، ببث الأغاني الهابطة، وتناول الصحف لموضوعات تمس الحياء والذوق العام.

ولعل الناس يلاحظون كيف أصبح ظاهرًا في الوسط السياسي والإعلامي، وفي بعض القنوات الفضائية، أن جهات بدأت تهاجم نصوص الإسلام والتشكيك في السنة؛ بل حتى القرآن نفسه لم يسلم من هجومهم، وجهات أخرى قامت من قمقمها لتتحدث عن الإلحاد بين الطلاب، كما لا يخفى على متابعٍ موجة المخدرات التي انتشرت بين الشباب، ثم لا يخفى على الناس خطوات الحكومة المُـخزية في الأشهر الماضية؛ من تبديل حكم الرجم، ومنع الحديث الديني في الأماكن العامة، والعمل على التضييق على الخطاب داخل المساجد، والتصريحات المفضوحة لقيادات الحكومة، كما يقول قطبي المهدي: «أميركا اشترطت التخلي عن تطبيق الشريعة للتطبيع مع السودان»، ووزير الخارجية غندور يقول: «إعادة النظر في العلاقة مع إسرائيل (أمر وارد)»، ثم يؤكد ذلك الرئيس صراحةً، أمام البرلمان يوم الإثنين ٢٠١٦/١٠/٣م قائلًا: «الحوار مشروع لبناء دولة ديمقراطية حديثة».

بالرغم من أن ترامب قال: «سوف نحارب التطرف الإسلامي العنيف، وسنقضي عليه من على وجه الأرض» وذلك في حفل تنصيبه يوم الجمعة ٢٠١٧/١/٢٠م) المصدر قناة الجزيرة، إلا أن البشير يقول لدى افتتاحه الأكاديمية العليا للدراسات الأمنية: «نتطلع لتطوير العلاقات مع أميركا فى عهد الرئيس ترامب» في عناوين صحف الخرطوم يوم الإثنين ٢٠١٧/١/٢٣م. وكذلك تبرأ وزير الخارجية من شعار (داون داون يو أس إيه)، الذي كانت تردده حكومة الإنقاذ تنديدًا بواشنطن، وقال «دا حق الشيوعيين، بايخ ما حقنا، الناس الكبار بعرفوا الكلام دا».

كما أن البرلمان الذي لا يستحي لا من الله، ولا من الناس، لم يتعب نفسه في دراسة هذا الأمر بعمق! فقد احتفى النواب بحضور وزير الخارجية الذي ألقى بيانًا أمام البرلمان، عن قرار الإدارة الأميركية برفع العقوبات الاقتصادية جزئيًا عن السودان، واستقبل بتكبير وتصفيق مدوٍّ عند اعتلاء المنصة لتلاوة بيانه، وضجت القاعة بالتصفيق بعد الفراغ من البيان.

وتجاوب رئيس البرلمان (إبراهيم أحمد عمر) مع مظاهر الاحتفاء بغندور، فقال ممازحًا النواب (٦٠ مرة قلنا ليكم ما تصفقوا، لكن هسه صفقوا شديد)، واستجاب النواب لطلبه ودوت القاعة بالتصفيق.

تمزيق السودان:

لا يخفى على متابع كيف أن الحكومة تسير بخطى حثيثة لتنفيذ ورقة الحوار الوطني الأميركية، التي نشرها مركز السلام الأميركي بتاريخ ١٣ آب/أغسطس ٢٠١٣م، والتي كتبها كل من المبعوث الرئاسي الأميركي السابق للسودان (برنستون ليمان)، ومدير برنامج القرن الأفريقي التابع لمعهد السلام الأميركي (جون تيمن) بعنوان: (الطريق إلى الحوار الوطني في السودان)، أصدرها معهد السلام الأميركي بالرقم موجز سلام رقم ١٥٥، ومما جاء في هذه الورقة: «لقد حان الوقت لأن يشرع السودان في حوار داخلي حقيقي، وعملية إصلاحية تؤدي إلى حكومة ممثلة لقاعدة واسعة، وديمقراطية، وقادرة على السعي نحو عملية مصالحة مجدية بين السودانيين».

فصلت هذه الحكومة جنوب السودان بفكرة حق تقرير المصير، إرضاءً لأميركا، ثم عادت أميركا هذه المرة، لتجعل لدارفور وضعًا خاصًا عبر اتفاق الدوحة، الذي يمهد للانفصال عبر فكرة الحكم الذاتي الموسع للإقليم.

إن قبول دخول الحركات المسلحة براياتها وشعاراتها، تحت مظلة الحوار الوطني، والبحث في وضع دستور توافقي، والاعتراف بهذه الكيانات وخصوصيتها، لهو خطوة تخطوها الحكومة نحو تمزيق ما تبقى من السودان، وهي تمهد لذلك بالوضع الخاص لدارفور عبر الدستور التوافقي الذي يراد أن ينص فيه على أفكار الحكم الذاتي والفدرالية وغيرها. ومن ذلك مطالبة الحركة الشعبية قطاع الشمال بالحكم الذاتي لمنطقتي جنوب كردفان والنيل الأزرق، عقب اجتماعها في تنزانيا في الفترة من ٧- ١٢/١٠/٢٠١٥م (سودان تربيون ١٥/١٠/٢٠١٥م).

وقد كثر الحديث في وثيقة ما يسمى بالحوار الوطني عن الهوية، والتمييز الإيجابي، وتشجيع تدريس اللهجات المحلية، في بلد جُل أهله مسلمون، مما يؤكد أن هناك عملًا خبيثًا، يريد من يقوم به أن يقول إن الناس في السودان مختلفون في هوياتهم وثقافاتهم؛ لذلك لا بد أن تعطى لهم خصوصية كما أعطيت خصوصية للجنوب حتى تم فصله عن الشمال.

قد يقول قائل إن رفع العقوبات سيعالج الضائقة الاقتصادية:

لا يخفى على أحد أن السودان دولة ذات ثروات وموارد غزيرة، لكن حتى تصل هذه الموارد إلى كل أفراد الرعية فتقضي على مشكلة الفقر، فهذا يحتاج إلى نظام يقدم المعالجات الاقتصادية بتبني منهج واضح تُعرض فيه الحلول والمعالجات وفق رؤية مبدئية، هي دولة الخلافة لأنها تنظر إلى الأمور بمنظار الإسلام، وتعتبر مسألة فقر الأفراد هو المشكلة الاقتصادية، فوضعت الحلول لمعالجتها، وقد حصرت المشكلة في توزيع الثروة وليس في قلتها أو ندرتها.

أما النظام في السودان، فيخضع لسياسيات بيوت التمويل العالمية القائمة على الاقتصاد الرأسمالي، القائم على مص دماء الشعوب، وعلى الضرائب، والجبايات، والرسوم. إذًا فلا يتوقع منه علاجًا للمشكلة. والملاحظ أنه بعد رفع العقوبات قد جاءت التصريحات عن زيادة أسعار الغاز، كما ذكر (أبرسي) أن في فبراير سيتم رفع الدعم عن الغاز ليصل سعر الأنبوبة إلى ١٦٠جنيهًا، وبعض الأقوال ترى أنها يمكن أن تصل إلى ١٧٥ جنيهًا.

ولا يخفى على الناس الصفوف المزدحمة أمام المخابز لصعوبة الحصول على الرغيف مع تقليل حجم رغيف الخبز بشكل واضح، مع أقوال تحذر من إمكانية زيادة سعرها إلى واحد جنيه. كما استبشر البعض بانخفاض أسعار الدولار، إلا أن ذلك لم يظهر على أسعار السلع والخدمات كما يقول محافظ بنك السودان السابق صابر، بل توقع ارتفاع سعر الدولار مرة أخرى.

أما الودائع فهي عبارة عن ديون سرعان ما يطالب بها أصحابها، فهي لا تمثل حلًا حقيقيًا وإنما ترقيعيًا، فقد ذكرت قناة الجزيرة في موقعها بتاريخ ٢٠١٧/١/٢٣م، أن سعر صرف الدولار الأميركي تراجع مقابل الجنيه السوداني في السوق السوداء في الخرطوم بعد حصول بنك السودان المركزي على وديعة خمسمائة مليون دولار من دولة الإمارات.

وأفادت وكالة الأناضول للأنباء بأن سعر الدولار في السوق السوداء بلغ ١٧ جنيهًا سودانيًا أمس الأحد مقارنة بـ١٩,٣٥ جنيهًا قبل قرار رفع العقوبات الاقتصادية جزئيًا يوم ١٣ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٧م. وقال متعاملون في السوق السوداء إن هناك معروضًا كبيرًا من العملات الأجنبية في السوق حاليًا في مقابل طلب محدود، مما أدى لارتفاع الجنيه نسبيًا. لكنهم توقعوا عودة ارتفاع أسعار العملات الأجنبية مقابل الجنيه مرة أخرى بسبب حالة «عدم اليقين» في السوق منذ بداية الأسبوع الماضي. وها هو الآن يواصل الارتفاع، وقد يصل إلى أعلى مما كان عليه.

العلاج والترياق:

أولًا: باعتبارنا مسلمين، لا بد من النظر إلى الأمور من زاوية العقيدة الإسلامية؛ لنرى ماذا

أمرنا الإسلام وبيَّن لنا، فهل يمكن أن يأتي الخير من أعداء المسلمين الكافرين المحاربين: قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾. كما لا يجوز الاستعانة بالأعداء المحاربين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى إِذَا خَلَفَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، نَظَرَ وَرَاءَهُ فَإِذَا كَتِيبَةٌ خَشْنَاءُ، قَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ: هَذَا عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ فِي مَوَالِيهِ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ، فَقَالَ: «**أَوَ قَدْ أَسْلَمُوا؟**»، فَقَالَ: فَإِنَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، قَالَ: «**قُلْ لَهُمْ فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لاَ نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ**». السنن للبيهقي، المعجم الأوسط للطبراني.

ثانيًا: لن تقطع أيادي الكافرين الطامعة في بلاد المسلمين إلا دولة مبدئية:

مما سبق يتضح أن الحكومة غارقة في تسليم البلاد والعباد لمشاريع أميركا في المنطقة، مما يجعل الحكومة غير مؤهلة سياسيًا لحكم أمة عظيمة تدين بالله ربًا، وبالإسلام منهجًا ونظامًا للحياة ودينًا، وبسيدنا محمد نبيًا ورسولًا. ولا يؤهلها لحكم بلد غني بخيراته وثرواته ورجاله كالسودان. فالسودان يحتاج إلى قيادة واعية راقية لها رؤية مبدئية. وحزب التحرير يقدم الإسلام بدولته الخلافة كبديل أصيل لعلاج الإخفاقات السياسية التي تواجه حكومة الإنقاذ بل العالم أجمع برجال دولة حقيقيين ومنهج واضح مفصل، إذ يتبنى دستورًا يحوي ١٩١ مادة تشتمل على كل نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، وكلها مأخوذة من الأدلة الشرعية، وفق اجتهاد صحيح، مع مقدمة للدستور تبين كيفية استنباط هذه المواد من الأدلة الشرعية، لتطبق في أول يوم تقام فيه الخلافة دون تأخير أو تأجيل. ثم إننا موعودون أن ذلك سيكون قريبًا إن شاء الله قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾، وقال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**».

بسم الله الرحمن الرحيم

مرادُ أهل الدرايةِ من معنى فرضِ الكفاية

صالح عبد الرحيم - الجزائر

للباحثين في مسألة تعريفِ وتحديدِ معنى فرضِ العين وفرض الكفاية آراء متعددة وأقوالٌ مختلفة يقصر أغلبها عن تحديد معنى فرض الكفاية بالدقة اللازمة، بل يُشعر الكثيرُ من هذه الأقوال كأن فرضَ الكفاية من حيث التكليف ليس مخاطبًا به كلُّ مسلمٍ؛ وهو ما يعطي الانطباع بأن فرض العين أهم من فرض الكفاية، وبأن الفرضَ الكفائي له أصحابه من بين عموم المسلمين، وهم من يجب أن تتوفر فيهم شروط معينة قد لا تتوفر عادةً في كل أحد!. أو كأنه لا يختص بواجب القيام به سوى طائفة من المسلمين دون غيرهم، وهو ما يوهم بالتالي كلَّ واحدٍ من أفراد الأمة أنه غير معني مباشرةً بخطاب الشارع وبالتكليف. فصار بعضُ هذه التعاريف يؤدي عكسَ ما هو مطلوب شرعًا من المسلمين، وهو القيام بواجب العمل والتطبيق والامتثال والالتزام، خصوصًا في هذا الزمان. بل صار بعضها يوهم كأن المكلَّفَ في فرض الكفاية غيُر محدد، أو أن الفرضَ توزع على المجموع بحيث لم يبقَ منه شيء. بل حتى صار كأنه لا يوجد من يقوم به!!!. فما معنى «إذا قام به البعض» التي ترد عادةً في التعريف؟ فكأن هذه العبارة توحي للسامع بأن البعض يكفي، وأنه لا داعي لاستدعاء الجميع من أجل القيام به. أو كأن مجرد التلبُّس بالعمل من هذا البعض، أي من طائفةٍ من المسلمين، يُجزئ. ثم ما الفرق بين «قام به البعض» و«أقامه البعضُ»؟ وكذلك ما المقصود من عبارة «سقط عن الباقين»: فما الذي سقط؟. ومن هم الباقون؟. ثم إن هنالك من العلماء من قال: «إن فرضَ الكفاية هو فرضُ عين حتى يتم». وهنالك من قال: «إن فرضَ الكفاية يتحول إلى فرض عينٍ إذا لم تحصل الكفايةُ، أي ما لم يتحقق». ولكن ما هي الضوابط في كل ذلك؟. أي متى بالضبط يتحول فرضُ الكفاية إلى فرض عين؟ وهل يتحول فعلًا؟ فواضح إذًا أن المسألةَ فيها لبس وغموض، وأن التدقيق فيها بات ملحًّا.

ومن هذه التعاريف والأقوال التي وردت ضمن آراء بعض العلماء والباحثين قولهم مثلًا:

١- فرضُ الكفاية في الفقه الإسلامي أحد الأحكام الشرعية. وتعريفه في علم أصول الفقه هو: «كل أمر مهم يُقصد في الشرع تحصيلُه على وجه الإلزام، من غير تعيين فاعله». وفي علم فروع الفقه هو: «المفروض شرعًا من غير تعيين فاعله، فيثاب فاعله، وإذا تركه الجميع أثموا، وإذا فعله البعض كفى». ويسمى فرضَ كفايةٍ لأن فعلَ البعض يكفي لحصول المقصود.

٢- وقال بعضهم: يتميَّز فرض العين عن الكفاية بأن فرض العين هو الذي طلب الشارع حصولَه من كل عين، أي من كل واحد من المكلفين، كالصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك، أو من عين مخصوصة كالنبي صلى الله عليه وسلم فيما فُرض عليه دون غيره. وأما فرض الكفاية فهو ما قصد الشارعُ فعلَه في الجملة، بحيث إذا عمِله البعض سقط الطلب الجازم به والإثـمُ عن الباقين، ويتناول ما هو «ديني» كصلاة الجنازة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودنيوي كالحرف والصنائع.

٣- وقال آخرون: فرض الكفاية في الفقه الإسلامي هو الفرض الذي إذا أدته فئةٌ من المسلمين (كافيةٌ لصحته) سقط عن الباقي. وأما إن لم يؤدِّه العدد الكافي من المسلمين؛ فإنه يأثم كلُّ من تخلف عنه ممن علموا به ولم يكن لتخلفهم عذر. ومن أمثلة فرضِ الكفاية ما يكـون في بعض الصـلوات مثل صـلاة العيدين وصلاة الكسوف وصلاة الجنائز، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾. وأيضًا تعلُّم الحِرَف مثل الحدادة والنجارة وغيرها يعتبر من فرض الكفاية وليس من فرض العين؛ لأنه لا يجب على الكل تعلمُ حرفةٍ واحدة.

٤- وقال جلال الدين السيوطي رحمه الله: «الفرق بينهما أنَّ في فرض العين النظرُ أولًا وابتداءً إلى الفاعل وإلى الفعل عَرَضًا، والعكسُ في فرض الكفاية... لكن لا بد من فاعل». وقد عرّفه بما شاع عند الأصوليين، وهم قد تبعوا في ذلك الغزالي رحمه الله بقولهم:

فَرْضُ الْكِفَايَةِ مُهِمٌّ يُقْصَدُ وَنَظَـرٌ عَنْ فَاعِـلٍ مُجَرَّدُ

٥- ومما ورد في رسالة أحد الطلاب في كلية الشريعة - قسم الفقه وأصوله بجامعة الإيمان في اليمن - بعنوان «الفرض الكفائي عند الأصوليين وأثره على اختلاف الفقهاء» قدمت في سنة ٢٠٠٨م ما يلي: «ولا يخفى على ذي لب أنَّ كثيرًا من تكاليف الدين الحنيف يتم أداؤها بصورةٍ جماعية، كالصلاة والحج والجهاد... إلخ. وكم في إقامة هذه الفروض من إراحة للضمير، وإشعار بالوحدة الإسلامية، والأخوة بين المؤمنين. وفي الوقت نفسه كم يحقق المسلمون من أهداف بإقامتها، فهي إغاظةٌ لأعداء الله، حين يرون المسلمين صفًا واحدًا في نظام سوي لا يتشتت أو يتفرق. وللأسف الشديد، أصبحت فروضُ الكفاية في زماننا متكأً يستند إليه كثير من الناس لتبرير تخلفهم عن أداء العبادة المطلوب أداؤها. والمعروف فقهًا وشرعًا، أن الفروضَ والتكاليف الشرعية نوعان: فروض عينية، وفروض كفائية. أما الفروض العينية: فهي التي تجب على كل إنسان بعينه، وفق استطاعته، ولا يخرج من عهدة التكليف الشرعي إلا بأدائها، والاضطلاع بها.

وأما الفروض الكفائية: فهي التي يجب على الأمة تحقيقها بمجموعها، حيث لا ينجو الفرد من المسؤولية عنها، ولا يخرج من عهدة التكليف بها ما لم تحققه الأمةُ بمجموعها». انتهى.

ونظرًا لما تتطلبه هذه المسألةُ من دقة، ونظرًا لما ترتب بالفعل على الغموض واللبسِ الذي يلف هذه الأقوال ويكتنف هذه التعاريف أو بعضَها، خصوصًا في هذه الأيام، مما هو مشاهد من سلوكات المسلمين ومواقفهم تجاه قضايا الأمة في هذا الزمان، نقول:

الفرض في الشريعة الإسلامية هو ما طلب الشارعُ فعلَه طلبًا جازمًا بحيث يثاب فاعله ويعاقب تاركُه، وهو أحد الأحكام الشرعية من الخطاب المتعلق بأفعال العباد اقتضاءً أي تكليفًا. والفروض في الإسلام من حيث الأداء نوعان: فردية وجماعية. أما من حيث المكلَّف (أي من حيث المخاطَب بالتكليف) فهي عينية وكفائية. أما من ناحية الوجوب والإلزام، وكذا (الثواب والعقاب) فلا فرق بينها جميعًا. وهذه الناحية هي التي يُنظر إليها عادةً حين تعريف الفرض وتحديد وتأكيد معناه إجمالًا من باب تبسيط معنى وحكمِ ما طلبَ الشارعُ من العباد القيامَ به على وجه الإلزام. كما تطلق عادةً كلمةُ الفرض على ما حكمهُ في الشريعة فرض، أي على نفس الأعمال المطلوب أداؤها أو القيامُ بها أو إنجازُها أو إقامتُها، فيقال عن كل هذه الأعمال إنها فروض. ولسنا في هذا المقام بصدد النظر في تقسيمات الواجب من حيث زمن أدائه ولا من حيث تقديره أو تعيين المطلوب فيه، كما هو عند الأصوليين. إلا أن الاعتبار الأهم في المسألة - بعد الإلزام والجزم في الطلب من الشارع الحكيم - إنما هو تحديد الـمُـطالَبِ بأداء الفعل.

فالمسألة مهمة وتحتاج إلى شيء من الدقة والتفصيل: لا يختلف فرضُ الكفاية عن فرض العين إلا من حيث المكلَّف؛ وذلك أن الأول هو على المجموع، والثاني على الجميع. وهنالك فرق، كما لا يتأتى أن يكون فرضُ الكفاية إلا جماعيًا من حيث التكليف. ومعنى ذلك أن المكلَّف في الأول ليس متعينًا من بين آحاد الأمة، وإلا فالمخاطَب هو الكل. أما من حيث الإنجاز فيمكن أن يقوم بالعمل أفرادٌ أو جماعات (بحسب الحالة). أما من حيث الوجوب فهو نفسه الواجب، أي المطلوب من قِبل الشارع من العباد على وجه الإلزام، وهو عين الفرض، أي ما يثابُ فاعله ويعاقبُ تاركُه، وهو إجمالًا ما يجب نهوضُ المسلمين له جماعيًا حتى يتم، وهذا الاعتبار هنا هو المقصود.

إلا أن أكثر مسلمي هذا الزمان - رجالًا ونساءً - يتصرفون كأنهم غير معنيين بالفروض والواجبات الكفائية، متأثرين في ذلك بسموم آتية من الغرب من مثل الفردية والنفعية والانزواء والابتعاد عن الشأن العام وعن السياسة، بعدما أبعد الغربُ الإسلامَ عن الحكم وشؤون المجتمع

في بلاد المسلمين. ومحصلتُه تقديمُ شؤون الفرد على أمور الجماعة، وتركُ كل ما هو جماعي من التكاليف. فأكثرهم بات يفهم فرضَ الكفاية فهمًا خاطئًا يُفضي إما إلى التفريط وإما إلى القعود. كما يعرِّفه أكثرهم تعريفًا مغلوطًا ينطوي على كثير من الوهم واللُّبس والغموض، وهو قولهم: «الذي إذا قام به البعضُ سقط عن الباقين»، وهو ما يوهم أنه لطالما وُجد من يتصدى للعمل على إقامته فيسقط التكليفُ عن غيره، مهما طال زمنُ غيابِ ما طُلب تحقيقُه!!. وهو ما يعني بالنتيجة أن المطلوبَ يصبح عندئذ كأنه ليس فرضًا في حقهم، بغض النظر عما إذا أُقيم وتحقق ما حكمُه هو هذا الفرض أم لا.

وليس الأمر كذلك في الشريعة الإسلامية البتة!! إذ صار التعريف بهذه الصيغة يعمل في الأمة عكسَ ما هو مطلوب شرعًا، بل صار يبعث على القعود أو الانصراف - في أحسن الأحوال - إلى ما هو عيني أو فردي في التطبيق كالعبادات الفردية، أو ما هو مطلوب في المطعومات والملبوسات والأخلاق مثلًا، وبالتالي إلى ترك الواجبِ الكفائي!! والصواب هو أن الذي يسقط إنما هو الإثم عمن تلبس بإقامة الفرض حالَ مباشرته العمل، أي حالَ قيامه بما يُقيمه (دون تقصير)، وليس الفرض؛ وذلك أن الذي يُراد إقامتُه إنما هو ما حكمه في الشريعة فرضٌ على المجموع، وهو المقصود من قولنا إقامة الفرض، وإلا فالفرض هو فرضٌ أبدًا. فيجب التفريق بين الفعل وحكم الفعل. كما يسقط الإثم عن غير المتلبسين (كأمرٍ واقعٍ) في ما بعد قيامِ الفرض وتحقُّقِه على أرض الواقع وليس قبله. أما إثم عدم التلبس بالعمل على إقامة الفرض قبل إنجازه في أرض الواقع - حال عدمِ حصول الكفاية أي حال عدمِ تمكُّن العاملين من إقامته وإنجازه بالفعل - فيحتاج إلى التوبة والاستغفار والإحسانِ فيما هو آتٍ؛ لذا يكون التعريفُ الأصوب إنما هو: «الذي إذا أقامه البعضُ (بمعنى أنجزه وجسده بعضُ المسلمين في أرض الواقع، وهم مأجورون) سقط الإثم عن الباقين» أي عن غير المتلبسين، كأمرٍ واقعٍ فيما بعد إنجازه، لأنه لا اعتبار لعدم التلبس بعد تحقق المطلوب. إذ المطلوبُ في الواجب الكفائي تحققُ الفعل أي إنجازُه من الجماعة متعاوِنةً في أدائه (بصرف النظر عن الفاعل) بحيث يصير فعلُ كل واحدٍ يقوم مقامَ فعل الآخر، وبهذه المعاونَة يصير التارك فاعلًا، ويكون مَن لم يقم بالفعل فاعلًا بهذا الاعتبار!! ومفاد هذا التعريف ومؤداه أنه يبعث على النهوض للعمل وليس العكس، إذ الجماعة كلها - متعاوِنةً - مطالبةٌ به. ففرق شاسع بين التعريفين. وإذا جاز أن يُنسب السقوط إلى الفرض نفسه كما قد يوهمُ التعريفُ الأول، فلِمَ يسقط الفرضُ بعد إنجاز العمل المطلوبِ عن الباقين فحسب؟ أفلا يكون سقوطُه عمن أقامه بالفعل من باب أولى؟. فالمقصود إذًا بالسقوط هو أنه لم يعد يترتب إثم على من كان يترتب عليه إثمُ القعود قبل إنجاز العمل. وكذلك المقصود

بالسقوط هو العمل الذي طُلب القيام به بعد إقامته فعلًا (كونه أُنجز) وليس الحكم. فإذا أُقيم العملُ الذي حُكمُه فرضٌ على الكفاية، لم يعد هنالك مجال لإقامته ثانيةً. أما حكم العمل في الشريعة فيبقى أنه فرضُ كفايةٍ أبدًا.

ثم إن كون الفروض الجماعية في الإسلام هي فروضٌ عظيمة أمر ظاهر ومقرر في الفقه وفي الشريعة الإسلامية؛ لأنها هي ما يُصلح حالَ الجماعة، ويجسد حقيقةَ مجتمع المسلمين ووحدتَهم وقوتهم وعزتهم؛ إذ نجد من بينها وأعظمها واجب إقامة الإمامة الكبرى أي الخلافة التي تجسد وحدةَ الأمة وجماعةَ المسلمين. وكذا الجهاد في سبيل الله مثلًا، فهو واجب على الأمة وجوبًا جماعيًا كفائيًا يجعل من المحتم وجود ما هو أوجب منه وهو الدولة في حياة الأمة على الدوام، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وهو ما يمكِّن في هذه الحالة - أي في هذا المثال - من حمل الدعوة الإسلامية حملًا سياسيًا، والإعداد للمواجهة والقتال - إن لزم - من أجل إيصال رسالةِ الإسلام إلى شعوب الأرض كافةً بعد القضاء على طواغيت الأرض من الحكام الظلَمة والملوك والجبابرة المتسلطين على رقاب البشر. وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاشتغال بالسياسة، فهو واجب على المسلمين وجوبًا جماعيًا كفائيًا على الدوام بما يمكِّن - حال غيابِ دولةِ المسلمين - من إيجاد الدولة التي تطبق الإسلامَ، أو المحافظةِ عليها وتقويمها بالأعمال السياسية من خلال المحاسبةِ وغيرها حال وجودها. ففي جميع الحالات يبقى الفرض فرضًا على المسلمين كافةً (أي على المجموع) قبل وبعد إنجاز ما حكمُهُ في شريعة الإسلام فرضُ كفاية.

وكما أن وجودَ الدولة أو غيابَها، ووجودَ المحاسبة أو عدمَها، لا يغير من حكم الاشتغال بالسياسة (الذي هو فرض على الكفاية)، فكذلك حكم الجهاد والاجتهاد مثلًا، فكلها فروض يلزم شرعًا أن تكون منجزةً في الأمة كفايةً على الدوام.

ومن معنى فرض الكفاية بداهةً ألا يكون بعد حصول الكفاية حكمُ نفس العمل واجبًا في حق الفرد الواحد بعينه إذا كان مما يتأتى له القيام به منفردًا، بل يندب؛ وذلك لأنه عندئذ يصبح من باب النافلة؛ إذ ليس هو فرضَ عينٍ على الجميع (فردًا فردًا) بل هو فرضٌ على المجموع، وقد تحقق بحصول الكفاية وتجسد على أرض الواقع بالفعل. وهذه مسألة دقيقة؛ وذلك كمحاسبة الحاكم من قِبل فردٍ بعينه حالَ وجود الدولة الإسلامية مع وجود مَن يحاسب الحاكمَ مِن الفاعلين من العلماء والأحزاب والتكتلات السياسية في الأمة كفايةً على الدوام، وكمن يريد صلاة الجنازة على من غُسِّل وصُلِّي عليه ودُفن، وكالفرد المتطوعِ في الجهاد بالنفس أو بالمال، أو بما هو منه كصناعة السلاح أو ابتكار الخطط العسكرية أو التجهيز أو التموين أو

غير ذلك، مع وجود الكفاية من العدد والعدة والعتاد والتخطيط في جيوش الدولة على الثغور. ولكن مع كل ذلك يبقى التكليفُ على وجه الإلزام لمجموع الأمةِ من الشارع الحكيم في كافة الأحوال قائمًا أبدًا، وهو فرضُ الكفاية.

نقول أيضًا: أفلا يكون من الصواب - بقصد إعمالِ معنى فرضِ الكفايةِ في أذهان المسلمين، وبالتالي في أعمالهم – إبراز أن «الفروض الكفائية» هي فروض عظيمة تتوقف استقامةُ كافة شؤون الأمة الجماعية على إقامتها، وهي من حيث الوجوب والإلزام كـ«الفروض العينية» أو «الفردية» سواء بسواء؟؟ فـيَعرف عندئذ كلُّ مسلم أنه مكلفُ ومخاطبٌ بها ضمن المجموع على وجه الإلزام حتى تقام. أي إن الطلب فيما هو فرض – وفق شروط الفرض والواجب – هو طلب جازم. أما من حيث الإنجاز - كما هو معلوم - فيمكن أن يقوم بالعمل أفرادٌ أو جماعات بحسب الحالة. ثم ألم يكن مقصود العلماء ابتداءً من تقسيم الفرضِ على هذا النحو إنما هو إبراز ما هو مطلوب في الشريعة جماعيًا، أي ما هو أدعى بأن يُستنفرَ له الجميعُ حتى يتحقق وينجز فعلًا؟

ومما ورد مختصرًا من كتاب الفكر الإسلامي (لصاحبه) في الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية ما يلي:

[ولا فرق بين فرض العين والفرض على الكفاية، فكلها فرض على جميع المسلمين. فقوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرض عين، وقوله ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ فرض على الكفاية. وقوله عليه الصلاة والسلام «إنما جعل الإمام ليؤتم به» فرض عين، وقوله «ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية» فرض كفاية. كما إن التفريق بين الفرضين من جهة الوجوب إثم عند الله، وصدٌّ عن سبيل الله، ومغالطة للتساهل بالقيام بفروض الله تعالى. أما من حيث سقوط الفرض عمن وجب عليه، فانه لا فرق بين فرض العين وفرض الكفاية. فلا يسقط الفرض حتى يقام العمل الذي طلبه الشارع، سواء طلب القيام به من كل مسلم كالصلاة المكتوبة، أو طلب القيام به من جميع المسلمين كبيعة الخليفة، فان كلًّا منها لا يسقط حتى يقام العمل، أي حتى تقام الصلاة، وحتى يقام الخليفة وتحصل البيعة له. ففرض الكفاية لا يسقط عن أي واحدٍ من المسلمين إذا قام بعضُهم بما يُقيمه حتى يتم قيامُه. فيبقى كل مسلم آثمًا ما دام القيام بالعمل لم يتم. وعلى ذلك من الخطأ أن يقال إن فرض الكفاية هو الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين، بل فرض الكفاية هو: الذي إذا أقامه البعضُ سقط عن الباقين، وسقوطه حينئذ أمر واقعي؛ لأن العمل المطلوب قد قام, ووجد فلم يبقَ مجال لبقائه. هذا هو الفرض على الكفاية، وهو كفرض العين سواء. وعلى ذلك

فإن إقامةَ دولةٍ إسلامية فرضٌ على جميع المسلمين، أي على كل مسلم من المسلمين، ولا يسقط عن أي مسلم إلا أن تقام الدولةُ الإسلامية] انتهى.

والخلاصة أن الذي قصده علماء الأمة - من أهل الفهم والدراية والاستقامة - من وضع مفهوم ومصطلح «فرض الكفاية» إنما هو إبراز أهمية ما هو مطلوب جماعيًا من المسلمين بحيث لا يجوز شرعًا الانصراف عنه حتى ينجز. وواضح أنه لا إثم على المتلبسين فعلًا بالعمل – من غير تقصير - لإقامة ما هو مطلوب مهما طال الزمن، ما داموا على ذلك. وواضح أيضًا أنه بعد إنجازه لا يعود هنالك مجال (كأمر واقع) لأن يأثمَ بسببه أحد. وواضح كذلك أن ما هو مطلوب إنجازه يكون أيضًا مطلوبٌ المحافظةُ عليه وبقاؤه قائمًا، وهذا هو المقصود من قولنا إن الفرض لا يسقط. فواجب وجود الدولةِ في حياة الأمة يبقى حكمًا ثابتًا في الشريعة على الدوام. وفرضُ - أيْ حكمُ - رد السلام لا يسقط بعد رده، وإنما الذي يسقط هو رد السلام، ومعناه أنه يبقى واجبًا في حق الأمة ردُّ السلام على الدوام. فالذي يسقط بعد إنجاز العمل حقيقةً إنما هو ذلك العمل المطلوب، أي العمل المراد إنجازه في زمن ما وظرف ما، وليس الحكم. وتجدر الإشارة هنا إلى واجب التفريق بين الفعل وحكم الفعل. وكذلك واجبُ - أيْ حكمُ - صلاةِ الجنازة لا يسقط بدفن الشخص الميت، فالذي يسقط هو دفن ذلك الميت والصلاة عليه. ومعناه أنَّ على المسلمين – بمجموعهم - بشكل دائم النفورُ لدفن موتاهم كلما حصل ذلك فيهم، وليس المقصود من كون صلاة الجنازة فرضَ كفايةٍ هو فقط أنه إذا مات فرد بعينه وجب أن يجتمع لدفنه من يكفي لدفنه حتى يدفن؛ فيجب هذا وزيادة. والمحصلة أنه لا يسقط الفرضُ، أي الحكمُ، بأي حال من الأحوال، فهو في الشريعة الإسلامية فرض.

فإذا ما فُهم فرض الكفاية على هذا النحو، وإذا ما علمنا أن الفروض الشرعية، والكفائيةَ خاصة، يتوقف القيامُ بأكثرها على وجود الدولة، وحتى العبادات الجماعية (من حيث الأداء) كالجمعة وصلاة الجماعة والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله وغير ذلك مما يستوجب القيامُ به على أكمل وأحسنِ وجهٍ وجودَ الحاكم الشرعي، علمنا أن الدولةَ الإسلاميةَ - أي دولة الخلافة - أولويةٌ قصوى في حياة الأمة الإسلامية. ومعنى هذا الكلام هو أنه مهما التزم آحادُ الأمة بما هو من مقومات الأفراد من الإسلام، أي بما يتأتى للفرد الالتزامُ به من مسائل العقيدة (علمًا وتصديقًا) ومن أحكامِ الشريعة (عملًا وتطبيقًا) بوصفه فردًا - ولو بالكثرة من أمثاله – فلن يكون ذلك حلًا للمشكلة القائمة في الأمة الإسلامية اليومَ! ولن يكون ذلك من معنى عودة الأمةِ إلى الإسلام - بوصفها أمةً - ولو بالحد الأدنى. كما أن مثلَ هذا الالتزام من الفرد المسلم فيما هو من شأنه لن يُسقط عنه من فرض العملِ من أجل استئناف الحياة الإسلامية وإيجادِ

المجتمع الإسلامي شيئًا، خصوصًا في ظل الأوضاع القائمة اليوم، أي في ظل غياب دولةِ المسلمين وهيمنةِ المنظومة الاستعمارية العالمية الحالية التي يسيطر عليها الغربُ العلماني الرأسمالي الكافرُ المستعمِر المتحكمُ اليومَ في كل تفاصيل حياة الأمة الإسلامية! وهذا هو ما يفسر حال المسلمين اليومَ على جميع الصعد. وهذه هي معضلة هذا الزمان.

ولهذا، فإنه عند النظر في كيفية تغييرِ المجتمع وتصحيح حالِ الأمة، لا يصح أبدًا أن يغيب واجبُ إيجاد الدولةِ في حياة الأمة أولًا. ومن هذا يظهر بوضوح أثرُ معنى فرضِ الكفاية في تحديد ما إذا كانت الدولةُ والخلافةُ بدايةً أم نهايةً، وتحديدًا عند التفكير بوجوبِ وكيفيةِ العودة إلى الإسلام وإقامةِ الدين. وإذا ما تغيرت نظرةُ المسلمين لمفهوم فرضِ الكفاية ولمفهوم السياسة ولمفهوم الدولةِ ولمعنى وتعريفِ المجتمع على النحو المطلوب، بأن تصبح الدولةُ والسياسةُ عندهم من صميم دينهم، فإن جهود العاملين تصبح عندئذ سائرةً في الاتجاه الصحيح، بأن تتوحد في العمل السياسي المثمر، باتجاه تحرير الأمةِ من قبضة الكافرِ المستعمِر. وهو ما يعني عودةَ المسلمين إلى موقع الريادة في السياسة الدولية، وإحباطَ هيمنةِ المنظومة الرأسمالية العلمانيةِ الغربية التي تتحكم اليومَ في كل دول وشعوبِ العالم عن طريق كل المؤسسات الغربية التابعة لمنظمةِ الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات «الدولية» الساهرة والضامنة لبقاء الاستعمار، والجالبة في بلاد المسلمين لكل أصناف التعاسة والدمار. ولن يتحقق ذلك للأمة إلا بحمل الدعوة الإسلامية في الطريق السياسي، وإعادة دولةِ الخلافة، واستئنافِ الحياة الإسلامية... وبذلك وحده ستسترجع الأمةُ ريادتَها وقوتها وعزتَها بتأييد من الله تعالى في زمن قياسي!! وهذا هو عمل حزب التحرير.

وتجدر الإشارةُ هنا إلى أن هنالك من زاد – من العلماء - على مفهوم فرض العين وفرض الكفاية مصطلح «السنة العينية» وكذلك «السنة الكفائية»، وهي المطلوب من المجموع أداؤه على وجه غيرِ ملزمٍ أي على وجه الندب والاستحباب. ومثال ذلك التثليث في الوضوء فحكمه سنة عين. أما بدء الناس من جماعةٍ بالسلام فهو مندوبٌ القيام به جماعيًا أي من الجماعة فهو سنة كفاية. فإذا قام به أحدهم أو بعضُهم أجزأ. وليس هذا مما نحن بصدد معالجته في هذا المقام.

الاتحاد الأوروبي واليابان يعلنان اتفاقا مبدئيًا «لشراكة اقتصادية» لمواجهة "حمائية" ترامب

توصل الاتحاد الأوروبي واليابان إلى اتفاق مبدئي لإقامة شراكة اقتصادية بين الجانبين، بهدف مواجهة السياسات الحمائية للرئيس الأميركي دونالد ترامب. وأعلن الاتحاد الأوروبي واليابان عن الخطوط العريضة لاتفاق تجاري واعد يعتبر بمثابة رد على السياسة الحمائية التي يعتمدها الرئيس الأميركي دونالد ترامب. وجاء الإعلان عن هذا الاتفاق عشية قمة مجموعة العشرين التي تستضيفها مدينة هامبورغ الألمانية. وقال رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر خلال مؤتمر صحافي مشترك مع رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك ورئيس الوزراء الياباني شينزو آبي خلال قمة في بروكسل: «لقد توصلنا اليوم إلى اتفاق مبدئي» على «اتفاق شراكة اقتصادية». وأضاف يونكر «نوجه معًا إشارة قوية إلى العالم من أجل تجارة منفتحة ومنصفة. بالنسبة إلينا ليس هناك حماية للحمائية». من جهته أعلن رئيس الوزراء الياباني «لقد تمكنا من التعبير عن رغبة سياسية قوية لكي يرفع الاتحاد الأوروبي واليابان عاليًا راية التبادل الحر». وتستهدف رسالة الاتحاد الأوروبي واليابان بشكل خاص الرئيس الأميركي دونالد ترامب الذي تثير سياسته الحمائية قلق شركائه. ومنذ وصوله إلى السلطة سحب ترامب بلاده من معاهدة التبادل عبر المحيط الهادىء الموقعة مع ١١ دولة في منطقة آسيا-المحيط الهادىء بينها اليابان، ثالث قوة اقتصادية في العالم. وركز اليابانيون منذ ذلك الحين مفاوضاتهم مع الاتحاد الأوروبي وأعطوها الأولوية.

هل يكشف ترامب حلفاءه الأوروبيين أمام الأسلحة الروسية البالستية؟

أعرب كريستوفر فورد المستشار الخاص للرئيس الأميركي عن أمل بلاده في إطلاق الحوار مع روسيا حول التوازن الدفاعي الاستراتيجي بين البلدين. وفي حديث أدلى به لوكالة «نوفوستي» الروسية قال فورد: «نأمل في انطلاق الحوار مع روسيا في القريب حول الاستقرار الاستراتيجي، حيث اتفقنا على تحريك الحوار الثنائي في هذا الصدد، بما يخدم استيضاح مواقف الجانبين ومطالبهما وتعرية المشاكل العالقة، رغم انعدام أي ضمانات لاحتمال تمكننا من تسوية هذه المشاكل» وقد علقت صحيفة Politico على ما يحيط باتفاقية عام ١٩٨٧ التي تحظر

على الطرفين نشر الصواريخ البالستية والمجنحة التي يتراوح مداها بين ٥٠٠ و٥,٥ ألف كم على اليابسة في أوروبا. ونقلت الصحيفة عن فريق من أعضاء الكونغرس الأميركي قولهم إن إدارة الرئيس دونالد ترامب تبحث في الوقت الراهن سبل وتبعات انسحاب واشنطن من هذه الاتفاقية، فيما يحذر الجانب الروسي واشنطن من مغبة اندلاع سباق تسلح جديد إذا نكثت واشنطن ما عاهدت عليه موسكو. وأشار قسطنطين كوساتشوف، رئيس لجنة مجلس الاتحاد الروسي للشؤون الدولية اعتبر في تعليق بهذا الصدد، أن واشنطن بانسحابها المحتمل من المعاهدة سوف تعرض حلفاءها في أوروبا للخطر. وأضاف: «هذه خطوة خرقاء من منظور الحفاظ على أمن حلفاء واشنطن، وأمن الولايات المتحدة نفسها. الخطوات الجوابية الروسية المحتومة في مثل هذه الحالة، سوف تجعل صواريخنا متوسطة المدى المنشورة في الشطر الأوروبي من روسيا، صواريخ استراتيجية من وجهة نظر الحفاظ على الأمن الأوروبي». وتابع: «الصواريخ الاستراتيجية النووية الروسية في ظل ذلك، سوف تتحول إلى تهديد مؤثر في أمن الولايات المتحدة الاستراتيجي». وختم بالقول: «هذه الفكرة غاية في الخطورة تقود إلى التدمير المتدرج لمعاهدة الرقابة على التسلح... وإلى سباق للتسلح لا رابح فيه».

المركز اللبناني لحقوق الإنسان:
المعتقلون السوريون ماتوا تحت التعذيب لا بأمرض مزمنة!

طلب مجلس الوزراء اللبناني من قيادة الجيش اللبناني إجراء تحقيق شامل وشفاف في ظروف وفاة عدد من الموقوفين السوريين ألقي القبض عليهم خلال مداهمات في بعض المخيمات في عرسال. وكان مصدر قضائي كشف أن مدعيًا في الجيش اللبناني أمر بتشريح جثث ٤ سوريين توفوا أثناء احتجازهم لدى الجيش قبل أسبوعين، وذلك بعد مطالبات جماعات حقوقية بفتح تحقيق للوقوف على أسباب وفاتهم. وصرح القاضي داني زعني وهو مفوض الحكومة المعاون لدى المحكمة العسكرية اليوم أن ثلاثة أطباء من الطب الشرعي أخذوا عينات من الجثث يوم الجمعة الماضي إلى مختبر طبي في بيروت. وكان السوريون الأربعة، الذين قال الجيش إنهم لاقوا حتفهم لإصابتهم بأمراض مزمنة، ضمن مئات الأشخاص الذين احتجزوا بعد مداهمة لمخيم للاجئين السوريين في منطقة عرسال الحدودية في شمال شرق لبنان. من جهته أكد المركز اللبناني لحقوق الإنسان أن المعتقلين الأربعة ماتوا تحت التعذيب، فيما ادعى «الائتلاف الوطني السوري»، الذي يتخذ من تركيا مقرًا له، أن عشرة أشخاص توفوا وهم قيد الاحتجاز في حين قتل ١٩ آخرون أثناء مداهمة مخيمات اللاجئين حول بلدة عرسال.

بريطانيا تستعد لإطلاق حاملة طائرات حربية ضخمة بمميزات مذهلة

تستعد المملكة المتحدة لإطلاق أكبر سفينة حربية لها «في لحظة تاريخية» لأكبر وأقوى سفينة بنيت للبحرية الملكية. وبحسب ما أوردته صحيفة «ديلي ميل» البريطانية، في تقريرها، فإن السفينة التي تحمل اسم «HMS Queen Elizabeth» أبحرت للمرة الأولى بعد ما يقرب عشر سنوات من العمل على بنائها، وهي عبارة عن حاملة للطائرات. ووصفت الصحيفة الرحلة الأولى للسفينة التي تحمل اسم الملكة البريطانية إليزابيث، بـ«اللحظة التاريخية للبحرية الملكية». ونشرت معلومات عنها، إذ تبلغ من الوزن ٦٥ ألف طن، وقياسها ٢٨٠ مترًا، ما دفع كابتنًا في البحرية الملكية إلى أن يصفها بأنها «قاعدة بحرية» جديدة في المملكة المتحدة، مضيفًا أنها «ستأخذ المعركة إلى أي خصم في جميع أنحاء العالم». وبلغت كلفة تصنيع حاملة الطائرات هذه نحو ٣ مليارات جنيه استرليني (٣,٤ مليارات يورو)، ودشنتها الملكة إليزابيت عام ٢٠١٤م، على أن تدخل في الخدمة قبل عام ٢٠٢٠م. وانطلقت السفينة الحربية التي تعد حاملة للطائرات خلال عملية متوترة لمدة ١٠ ساعات متواصلة، وتم توجيهها من حوض بناء السفن في روزيث، أسكتلندا، إلى البحر بمساعدة ١١ قاربًا لسحب ٦٥ ألف طن. وبإمكان السفينة أن تحمل ٤٠ طائرة منها ٢٤ طائرة مقاتلة من نوع «F-35B» والرادارات التي يمكن أن تتبع الأشياء الصغيرة، وهليكوبتر. ويبلغ عدد طاقم السفينة ١٦٠٠ شخص متضمنًا طياري طائرات «F-35B» وطائرات الهليكوبتر.

ارتفاع غير مسبوق في استيراد دول الشرق الأوسط للسلاح

نشرت صحيفة «الغارديان» تقريرًا، تقول فيه إن دراسة أعدها معهد ستوكهولم للسلام في النرويج، ذكرت أن استيراد السلاح وتصديره لدول الشرق الأوسط تضاعف في السنوات الخمس الأخيرة، ووصل إلى أعلى مستوى له منذ نهاية الحرب الباردة. ويكشف التقرير، عن أنه تم بيع أسلحة لدول الشرق الأوسط في الفترة ما بين عام ٢٠١٢م إلى ٢٠١٦م، أكثر من أي وقت مضى، مشيرًا إلى أن السعودية، التي تقود الحرب في اليمن ضد الحوثيين، تعد ثاني أكبر مستورد للسلاح في العالم بعد الهند، وزادت من واردتها من السلاح بنسبة ٢١٢٪، حيث اشترت أسلحتها وبشكل رئيسي من الولايات المتحدة وبريطانيا. وتشير الصحيفة إلى أن قارة آسيا تعد المستورد الأكبر للسلاح، حيث تفوقت على جارتيها الصين وباكستان بنسبة ١٣٪ من سوق الاستيراد العالمي، لافتة إلى أنه في الوقت الذي اشترت فيه الهند معظم سلاحها من روسيا، فإن السعودية اعتمدت على سوق السلاح في الولايات المتحدة وبريطانيا، ويلفت

التقرير إلى أن كلًا من روسيا والولايات المتحدة وفرتا الكم الأكبر من السلاح، بمعدل نصف ما توفر في سوق السلاح، مشيرًا إلى أن الصين وفرنسا وألمانيا كانت من بين أكبر خمس دول مصدرة للسلاح في العالم. وينقل التقرير عن الدراسة أن الصين عززت من موقعها بصفتها المصدر الأول للسلاح في المنطقة، حيث زادت من نسبة صادراتها إلى ٦,٢٪، فيما قلَّلت ألمانيا من نسبة صادراتها إلى ٣٦٪ في الفترة ذاتها، وتعد الجزائر أكبر مستورد للسلاح في أفريقيا. وتنوه الصحيفة إلى أن تركيا والسعودية والإمارات العربية المتحدة تعد من أكبر المشترين للسلاح الأميركي في المنطقة، لافتة إلى أن السعودية تظل المشتري الأكبر للسلاح البريطاني، حيث باعت لندن نصف منتوجها من الأسلحة إلى المملكة.

الأزمة القطرية تهدد وجود مجلس التعاون الخليجي

سلطت صحيفة «فرانكفورتر تسايتونغ» الألمانية، في تقرير لها الضوء على الأزمة الخليجية والأضرار الفادحة التي ستترتب عليها في حال استمرت الدول المقاطعة فرض حصارها على دولة قطر. وحذر التقرير من أن أزمة الدول الخليجية الثلاث مع جارتها قطر باتت تهدد وجود مجلس التعاون الخليجي باعتباره الآلية الوحيدة الفاعلة للتعاون بالعالم العربي. ولم يستبعد التقرير تفكك المجلس بعد تضاؤل دوره في السنوات الماضية نتيجة رفض عُمان تحويله لاتحاد نقدي واندماج أعضائه عسكريًا، فيما رفضت الكويت ذات التجربة البرلمانية «الناجعة» إملاءات جارتها، ورفض السعودية لطلب الإمارات بجعل أبو ظبي مقرًا للبنك المركزي الخليجي .وأشار التقرير إلى أن قطر تتوافر لها قدرات مالية كبيرة تجعلها قادرة على تحمل حصار جيرانها لأطول وقت، وأن إخراج الدوحة من مجلس التعاون الخليجي سيدفع القيادة القطرية لعدم مراعاة حساسية دول الجوار في سياستها الخارجية. ورأى أن محاولة عزل قطر باتت أشبه بكرة ضخمة سيرتد أذاها الماحق على من لعبوا بها خاصة السعودية، وأن المقاطعة والحصار سيدفعان قطر للاقتراب أكثر من إيران التي تتولى حاليًا مع تركيا إمدادها بالمياه والمواد الغذائية. وعن القاعدة العسكرية القطرية التركية الجديدة، قال الكاتب إن من شأنها تغيير التوازن العسكري بشبه الجزيرة العربية، مشيرًا إلى أنه حتى سلطنة عمان التي اختلفت في السابق مع الدوحة، فتحت موانئها أمام قطر لتستخدمها بتعاملاتها التجارية. وأشار التقرير إلى أن وزير الخارجية الألماني زيغمار غابرييل أعلن، أن قطر وافقت على فتح جميع ملفاتها أمام الاستخبارات الألمانية لتنظر فيها بشأن الاتهامات الموجهة إلى الدوحة. وقال إن قطر أبدت استعدادها للإجابة عن أية أسئلة تطرحها برلين

عليها بخصوص أشخاص أو تنظيمات معينة لها علاقة باتهامات «دعم الإرهاب وتمويله» التي توجهها إليها السعودية والإمارات والبحرين ومصر!

عبد الله بن حمد العطية: مجلس التعاون الخليجي انتهى

شن مسؤول قطري سابق هجومًا حادًا على الدول الأربع المقاطعة لبلاده، معتبرًا أن الأزمة الحالية قوضت ثقة الدوحة بالأشقاء، وقضت على مجلس التعاون الخليجي. وأكد نائب رئيس مجلس الوزراء القطري ووزير الطاقة والصناعة القطري السابق، عبد الله بن حمد العطية، في حديث لـ «التلفزيون العربي» استعداد الدوحة للتعايش والتعامل مع كافة احتمالات الأزمة الخليجية والحصار المفروض عليها، ولفت العطية إلى أن قطر استوعبت درسًا قاسيًا من الأزمة الحالية، «لكنه درس مفيد لنا كيف نتعامل مع اقتصادنا وأسواقنا واعتمادنا على النفس أكثر من اعتمادنا على الآخرين»، مؤكدًا أن قطر لن تعود كما كانت، وقد تعلمت ألا تثق بالأخوة والأشقاء بعد أن فرضوا هذا الحصار عليها. وأضاف العطية: «أسسنا مجلس التعاون في عام ١٩٨١م، وفي نظري الشخصي أعتبر مجلس التعاون منتهيًا».

الناطق باسم التحالف العربي في اليمن
يلتقي نـجل صالح سرًا في أبو ظبي وترتيبات لعودته إلى صنعاء

كشفت دورية فرنسية تعنى بالدراسات الاستخبارية أن المملكة العربية السعودية باتت أكثر اقتناعًا تجاه تغيير موقفها من الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح، وإعادته وعائلته إلى السلطة مع صعود الأمير محمد بن سلمان لمنصب ولي العهد. وقالت نشرة «إنتلجنس أونلاين» المخابراتية الفرنسية، إن ولي عهد أبو ظبي الشيخ محمد بن زايد، يدفع من أجل الإطاحة بالرئيس اليمني الموالي للسعودية عبد ربه منصور هادي قريبًا، ويعمل على إقناع ولي العهد السعودي محمد بن سلمان بذلك. وحسب مصادر للنشرة الفرنسية فقد سافر أحمد عسيري المتحدث باسم التحالف العربي في اليمن، والذراع اليمنى لولي العهد محمد بن سلمان، والرجل الثاني في جهاز المخابرات العامة السعودي، إلى أبو ظبي في ٢٧ حزيران/ يونيو لمقابلة أحمد علي عبد الله صالح نجل الرئيس اليمني السابق، موضحةً أنه تم اختيار قائد الحرس الجمهوري السابق المقيم في الإمارات من قبل أبو ظبي لقيادة المفاوضات لتشكيل حكومة يمنية جديدة. وتشير المعلومات المسربة من «إنتجلنس أونلاين» إلى أن أحمد علي صالح قد تلقى مباركة الرياض بانتقاله إلى صنعاء من أجل إجراء مشاورات في هذا الصدد.

قال الله تعالى

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢١٥﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

جعل الله سبحانه هذه السورة العظيمة جامعة لأنواع كثيرة من الخير، فذكر سبحانه المؤمنين والكافرين والمنافقين، ثم ذكر يهود وتحريفهم كتبهم واختلافهم على أنبيائهم وقتل بعضهم أنبياءهم وجدلهم بالباطل ومؤامراتهم على رسول الله ﷺ والمؤمنين.

فذكر العقيدة وبعض متعلقاتها ليكون المؤمن راسخ الإيمان واعيًا على كيد الكفر وأهله.

ثم ذكر الله سبحانه بعد ذلك أنواعًا من الأحكام الشرعية المبنية على العقيدة الإسلامية، فذكر البيت وبناء إبراهيم وإسماعيل له ثم تحويل القبلة إليه وكذلك الحج إليه، وذكر سبحانه الصوم والجهاد وعددًا من الأحكام الشرعية التي تتعلق بالدعوة للإسلام واحتدام الصراع بين الحق والباطل واختلاف الناس على رسلهم، وثقل البلاء الذي يلقاه المؤمن، والصبر على الأذى في سبيل الله، ومن ثم النصر والفتح القريب.

كل ذلك ليستقيم أمر المسلم في إيمانه وفي أفعاله آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر لا يضره من خالفه: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[1].

وفي هذا السياق - بيان عدد من الأحكام الشرعية بعد أن ذكر الله سبحانه سابقًا العقيدة الإسلامية - جاء هذا السؤال والجواب في هذه الآية الكريمة، وتساؤلات تبعته حول عدد من الأحكام الشرعية المبينة في هذه السورة العظيمة.

فقد سأل عمرو بن الجموح رضي الله عنه رسول الله ﷺ فيما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النفقة من ماله، وكان شيخًا كبيرًا ذا مالٍ كثيرٍ فقال: يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا؟ فنزلت الآية الكريمة والتي تبين ما يلي:

١ البخاري: ٢٨٨٤، مسلم: ٣٥٤٤

١. يظهر من الآية أن السؤال كان عن الأموال التي تُنفَق ولكن الله سبحانه أجاب عن (المُـنفَق) بشكل عام ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ أي من الحلال الطيب، ثم بين سبحانه مَن الذين لهم الأولوية في الإنفاق عليهم ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾. وفي هذا دلالة على أن النفقة لا يعتد بها ولا تقبل إلا إن وقعت موقعها، أي للذي يستحقها.

٢. أن الآية في الصدقة المندوبة وليست في الفريضة (الزكاة) وذلك بقرينة ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ فقد جعل الله الإنفاق متوقفًا على المنفِقين فلم يقل سبحانه (أنفقوا خيرًا لكذا وكذا) وعندها كان احتمال الفرض واردًا، ولكنها هنا ﴿مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ أي إن أنفقتم فليكن من خير، وليكن للوالدين والأقربين ... الآية.

وهذا يعني أن الإنفاق متوقف على المنفقين، وحيث إن النفقة - الصدقة - قربة إلى الله فيكون الإنفاق هنا مندوبًا.

وتؤكـد هذا خاتمة الآية الكريمة ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ و﴿مَا﴾ هنا كذلك شرطية، فالنفقة متوقفة على المنفق؛ ولذلك فإن القول بنسخها بآية الزكاة غير وارد، فهذه في الصدقة المندوبة وآية الزكاة في الفريضة.

٣. تبين الآية الأولويات في الصدقة، فالأَولى أن تكون في الوالدين والأرحام والأقارب أي الأدنى فالأدنى: «**إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم الأقرب فالأقرب**»[٢] «**سئل رسول الله ﷺ: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذي يلي، ذاك حق واجب ورحم موصولة**»[٣] أي ذوي الأرحام. «**وأتى رجل النبي ﷺ فقال: إن لي دينارًا. قال: أنفقه على نفسك. قال: إن لي دينارين. فقال: أنفقهما على أهلك. قال: إن لي ثلاثة. قال: أنفقها على خادمك. قال: إن لي أربعة. قال: أنفقها على والديك. فقال: إن لي خمسة. قال: أنفقها على قرابتك. فقال: إن لي ستة. فقال: أنفقها في سبيل الله تعالى**»[٤]. وكما جاء في الحديث: «**الصدقة على الفقير صدقة، وهي على الرحم صلة وصدقة**»[٥]. ثم بعد الوالدين والأقربين للمحتاجين، والأولى اليتيم وهو من كان صغيرًا وفاقدًا للأب، ثم المساكين والفقراء من غير اليتامى، ثم الذي انقطع به السبيل، وهكذا فالإنفاق في الأَولى فالأَولى أفضل مما سواه، والله سبحانه لا يضيع عنده مثقال ذرة من خير، فكلّ نفقة من مال حلال طيب بإخلاص لله توضع في موضعها أي لمستحقيها مهما صغرت، يتقبلها الله بقبول حسن، ويعلمها سبحانه على أي حال أنفقت ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾.

٢ ابن ماجه: ٣٦٦١، أحمد: ١٣١/٤، ١٣٢

٣ أبو داوود: ٤٤٧٤، الترمذي: ٢٥٣٢، الدر المنثور: ٦١١/٢

٤ أحمد: ٣٦٩/٣، ابن حبان: ٨٢٨، البيهقي: ٤٦٦/٧، ٤٧٧

٥ النسائي: ٢٥٣٥، ابن ماجه: ١٨٣٤، أحمد: ١٧/٤، ٢١٨

حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (١)

«عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَرَأَى شَاةً شَائِلَةً بِرِجْلِهَا، فَقَالَ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّاةَ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا؟»، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً».

- عَنْ سَلْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: أُرَاهُ رَفَعَهُ، قَالَ: «يُجَاءُ بِالدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: مَيِّزُوا مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَلْقُوا سَائِرَهَا فِي النَّارِ».

- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، وَمَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى».

- عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ».

- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَا بِشَرَابٍ، فَأُتِيَ بِمَاءٍ وَعَسَلٍ، فَلَمَّا أَدْنَاهُ مِنْ فِيهِ بَكَى، وَبَكَى حَتَّى أَبْكَى أَصْحَابَهُ، فَسَكَتُوا وَمَا سَكَتَ، ثُمَّ عَادَ فَبَكَى حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَنْ يَقْدِرُوا عَلَى مَسْأَلَتِهِ. قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ، فَقَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ شَيْئًا، وَلَمْ أَرَ مَعَهُ أَحَدًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الَّذِي تَدْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: «هَذِهِ الدُّنْيَا مُثِّلَتْ لِي فَقُلْتُ لَهَا: إِلَيْكِ عَنِّي، ثُمَّ رَجَعَتْ فَقَالَتْ: إِنَّكَ إِنْ أَفْلَتَّ مِنِّي فَلَنْ يَفْلِتَ مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ».

- حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: ثنا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، سَمِعَهُ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا الْمُسْتَوْرِدُ الْفِهْرِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ مَا يَرْجِعُ إِلَيْه».

- عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ».

- عَنْ أَبِي مَيْمُونٍ اللَّخْمِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى مَزْبَلَةٍ فَقَالَ: «هَلُمُّوا إِلَى الدُّنْيَا»، وَأَخَذَ خِرَقًا قَدْ بَلِيَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَزْبَلَةِ، وَعِظَامًا قَدْ نَخِرَتْ، فَقَالَ: «هَذِهِ الدُّنْيَا».

- عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا بُسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَمُهِّدَتْ تَبَاهَوْا فِي الْحِلْيَةِ وَالنِّسَاءِ وَالطِّيبِ وَالثِّيَابِ».

- عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ الْمَاءَ».

- عَنْ مُوسَى بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا هُوَ أَبْغَضُ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا».

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَصْبَحَ وَأَكْبَرُ هَمِّهِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

- عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا تُطِيلُ الْهَمَّ وَالْحَزَنَ».

التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي أَمْرِ الْآخِرَة

- قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي أَمْرِ الْآخِرَة».

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ، فَإِذَا هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ ثُمَّ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ إِلَّا أُهَبَةً ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْكَ، فَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى. قَالَ: فَاسْتَوَى جَالِسًا، فَقَالَ: «أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» ، فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ».

- عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «أَيْنَ الْوَضَاءُ الْحَسَنَةُ وُجُوهُهُمْ، الْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ؟ أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحِيطَانِ؟ أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُعْطُونَ الْغَلَبَةَ فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ؟ قَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمُ الدَّهْرُ، فَأَصْبَحُوا فِي ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ الْوَحَا الْوَحَا، النَّجَا النَّجَا»

- قَالَ رَجُلٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا الدُّنْيَا، قَالَ: «وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ: مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، وَمَنْ سَقِمَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، فِي حَلَالِهَا الْحِسَابُ، وَفِي حَرَامِهَا النَّارُ».

- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ».

- عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: «مَا شُبِّهَتِ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَجُلٍ نَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ وَمَا يُحِبُّ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذِ انْتَبَهَ».

- عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: أَيُّ شَيْءٍ أَشْبَهُ بِالدُّنْيَا؟ قَالَ: «أَحْلَامُ النَّائِمِ».

- ذُكِرَتِ الدُّنْيَا عِنْدَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فَقَالَ:

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلِ إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

- عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَنَفْجَةِ (كوثبة) أَرْنَبٍ».

- مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

يَا أَهْلَ لَذَّاتِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا إِنَّ اغْتِرَارًا بِظِلٍّ زَائِلٍ حُمُقُ

- نَزَلَ أَعْرَابِيٌّ بِقَوْمٍ فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ طَعَامًا، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى ظِلِّ خَيْمَةٍ لَهُمْ فَنَامَ هُنَاكَ، فَاقْتَلَعُوا الْخَيْمَةَ فَأَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَانْتَبَهَ وَقَامَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظِلٍّ بِنَيْتَهُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنَّ ظِلَّكَ زَائِلُ

- حَدَّثَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «أَرْبَعٌ مِنْ أَعْلَامِ الشَّقَاءِ: قَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَجُمُودُ الْعَيْنِ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا».

- عن مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: «اتَّقُوا السَّحَّارَةَ، اتَّقُوا السَّحَّارَةَ؛ فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ، يَعْنِي الدُّنْيَا».

- قَالَ أَبُو هَاشِمٍ الزَّاهِدُ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، فَالدَّاءُ الدُّنْيَا، وَالدَّوَاءُ تَرْكُهَا».

- عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظَعْنٍ وَلَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٌ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهَا عُقُوبَةً، فَاحْذَرْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ... ».

- حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الصُّوفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدَ، يَقُولُ: «إِنْ كُنْتَ أَبَا مُعَاوِيَةَ تُرِيدُ لِنَفْسِكَ الْجَزِيلَ، فَلَا تَنَمْ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا تَغْفَلْ، قَدِّمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ، وَدَعْ عَنْكَ كَثْرَةَ الْأَشْغَالِ، بَادِرْ قَبْلَ نُزُولِ مَا تُحَاذِرُ، وَلَا تَهْتَمَّ بِأَرْزَاقِ مَنْ تُخَلِّفُ، فَلَسْتَ أَرْزَاقَهُمْ تُكَلَّفُ»

- عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «يَتَوَسَّدُ الْمُؤْمِنُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ فِي قَبْرِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، فَاغْتَنِمُوا الْمُبَادَرَةَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي الْمُهْلَةِ»

- عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: «مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ، إِنْ أَرْضَى إِحْدَاهُمَا أَسْخَطَ الْأُخْرَى»

- حَدَّثَنِي سُرَيْجٌ، قَالَ: ثنا خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ سَيَّارٍ أَبِي الْحَكَمِ، قَالَ: «الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، فَأَيُّهُمَا غَلَبَ كَانَ الْآخَرُ تَبَعًا لَهُ»

- حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ، قَالَ: «إِذَا كَانَتِ الْآخِرَةُ فِي الْقَلْبِ جَاءَتِ الدُّنْيَا تَزْحَمُهَا، وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ لَمْ تَزْحَمْهَا الْآخِرَةُ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ كَرِيمَةٌ وَالدُّنْيَا لَئِيمَةٌ»

- سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ، يَقُولُ: «بِقَدْرِ مَا تَحْزَنُ لِلدُّنْيَا فَكَذَلِكَ يَخْرُجُ هَمُّ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِكَ، وَبِقَدْرِ مَا تَحْزَنُ لِلْآخِرَةِ فَكَذَلِكَ يَخْرُجُ هَمُّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِكَ»

- سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُؤْتَى بِالدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ عَجُوزٍ شَمْطَاءَ زَرْقَاءَ، أَنْيَابُهَا بَادِيَةٌ مُشَوَّهٌ خَلْقُهَا، فَتَشْرِفُ عَلَى الْخَلَائِقِ، فَيُقَالُ: أَتَعْرِفُونَ هَذِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ. فَيُقَالُ: هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي تَنَاحَرْتُمْ عَلَيْهَا، بِهَا تَقَاطَعْتُمُ الْأَرْحَامَ، وَبِهَا تَحَاسَدْتُمْ وَتَبَاغَضْتُمْ وَاغْتَرَرْتُمْ. ثُمَّ يُقْذَفُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ، فَتُنَادِي: أَيْ رَبِّ أَيْنَ أَتْبَاعِي وَأَشْيَاعِي؟ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَلْحِقُوا بِهَا أَتْبَاعَهَا وَأَشْيَاعَهَا»

حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عُيَيْنَةَ: حُدِّثْتُ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا الدُّنْيَا؟ إِنْ كُنْتُ لَبَائِعَهَا فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ كُلِّهَا بِشَرْبَةٍ عَلَى الظَّمَأِ».

محمد بن سلمان: ثورة في العائلة والدين والاقتصاد والعلاقات مع (إسرائيل)

تناولت الدورية الفرنسية المعنية بشؤون الاستخبارات «إنتيلجنس أونلاين» في تقرير لها نفوذ ولي العهد السعودي الجديد محمد بن سلمان في جهاز الأمن السعودي. وأوردت الدورية أن ابن سلمان ظل فترة قبل تعيينه وليًا للعهد وهو يناور من وراء الكواليس، خاصة في قطاع الأمن، وأنه أسس في شهر نيسان/ إبريل الماضي مجلسًا للأمن الوطني، وألحقه بالديوان الملكي، وليس بوزارة الداخلية التي كانت حقيبة وزارية يديرها ولي العهد السابق محمد بن نايف. وقد أزاح محمد بن سلمان عمه مقرن بن عبدالعزيز من ولاية العهد أولًا ثم إزاح ابن عمه محمد بن نايف ثانيًا، ليصبح ولي العهد الوحيد لأبيه الملك سلمان.

وقد شكل محمد بن سلمان فريقه الخاص الذي يعتمد عليه في توطيد إدارته لشؤون البلاد داخل الأسرة الحاكمة وخارجها في الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية. فعلى الصعيد الدبلوماسي، عيّن بن سلمان شقيقه الأصغر خالد بن سلمان كسفير للسعودية في الولايات المتحدة الأميركية. كذلك أفرغ وزارة الداخلية من ثقلها داخل الدولة، إذ أنشأ «جهاز الأمن الوطني» الذي يتبع الملك بشكل مباشر، ويقوم بعمل جهاز المباحث في وزارة الداخلية، وقام بتنصيب المقرب منه محمد الغفيلي كرئيس له. كذلك استحدث جهاز النيابة العامة كبديل لهيئة التحقيق والادعاء التابعة لوزارة الداخلية. كما عين المتحدث الرسمي باسم الحرب على اليمن، اللواء أحمد عسيري، كنائب لجهاز الاستخبارات العامة السعودي.

وعلى الصعيد الإعلامي، جنّد بن سلمان عشرات الإعلاميين للعمل لصالحه أثناء تخطيطه للوصول إلى منصب ولاية العهد، أبرزهم تركي الدخيل الذي تم تعيينه بعد وصول الملك سلمان بن عبدالعزيز لكرسي الحكم، مديرًا لقناة العربية، ومستشارًا إعلاميًا للملك، وحلقة وصل بين محمد بن سلمان ومحمد بن زايد ولي عهد أبو ظبي.

وفي الجانب الديني، اعتقل بن سلمان العشرات من رموز التيار الصحوي، على رأسهم عبدالعزيز الطريفي وإبراهيم السكران وسليمان الدويش. فيما انتهج خطة «للإصلاح الديني» معتمدًا على عدد من شيوخ الدين، أبرزهم خطيب المسجد النبوي صالح المغامسي، في سبيل تقديم خطاب ديني جديد، متسامح مع التيارات الليبرالية والعلمانية التي يراها تيار «الصحوة» التقليدي عدوًا للإسلام. وعلى الرغم من حصول بن سلمان على مباركة هيئة كبار العلماء، وعلى رأسهم رئيسها الشيخ صالح آل شيخ، والشيخ صالح الفوزان، فإن بن سلمان يعمل على تحجيمها، من خلال تغيير أعضائها والتخلص ممن يراهم متشددين فيها.

وعلى الصعيد الاقتصادي، فإن بن سلمان ينتهج سياسة نيوليبرالية، تنص على خصخصة قطاعات الدولة وعلى رأسها القطاع النفطي، وفرض الضرائب على المقيمين وعلى المواطنين السعوديين بغية خلق سوق مفتوحة. ويعتمد بن سلمان في ذلك على وزير الطاقة خالد الفالح كرجل رئيسي في خطة خصخصة شركة أرامكو، خصوصًا أن فكرة خصخصة الشركة كانت من الفالح الذي أقنع بن سلمان بإدراجها في رؤية ٢٠٣٠م

في موازاة التحديات الداخلية، تنتظر بن سلمان العديد من التحديات في السياسة الخارجية بسبب تنحيته للعديد من رجال الخبرة داخل المؤسسة السعودية لمحسوبيتهم على أمراء آخرين من الأسرة المالكة. ففي الخليج افتعل بن سلمان حربًا دبلوماسية وإعلامية شعواء ضد قطر، كما ألمحت وسائل الإعلام المقربة منه لحرب أخرى قد تشنها على الكويت وعمان بسبب موقفهما «المحايد» من الأزمة.

وعلى صعيد «القضية الفلسطينية» فإن بن سلمان عقد مفاوضات عدة من خلال قنوات خلفية مع (إسرائيل). كما أنه طالب قطر بطرد قيادات حماس الموجودين لديها، ويضغط على الكويت لوقف تمويل الجمعيات الخيرية فيها لغزة. ومن المنتظر أن يتوسع بن سلمان، بعد استقرار الأمور في الداخل السعودي لصالحه، في عقد مزيد من الاتفاقيات التطبيعية مع (إسرائيل). ولم تخفِ الصحف (الإسرائيلية) مدى الارتياح لوصوله إلى الحكم، حيث وصف محرر الشؤون العربية في صحيفة «هآرتس»، تسفي برئيل، وصول بن سلمان إلى منصب ولاية العهد بأنه «بشرى سارة لإسرائيل».

مآسي المسلمين الإيغور تلاحقهم في أرض الكنانة!

دخل الإسلام بشكل مكثّف إلى أقاليم الصين الحالية في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٨٦هـ-٧٠٥ م)، وشكّلت كل من تركستان الشرقية، وتركستان الغربية بلادًا واحدة تُعرف باسم تركستان، إلاَّ أن وقوعها تحت الاستعمار من قِبل روسيا والصين، اللتين تصارعتا على امتلاكها لأكثر من ٢٠٠ سنة، أدّى إلى تقسيمها وتجزئتها إلى جزءين، الأول يعرف باسم تركستان الشرقية، أو «الصينية»، والجزء الآخر الذي يتمثل بالجمهوريات الإسلامية المستقلة عما كان يسمى بالاتحاد السوفياتي سابقًا، وهي أوزبكستان، وكازاخستان، وقرغزستان، وتركمانستان، وطاجيكستان. وقد عانى مسلمو تركستان الشرقية من مآس متتالية، لا سيما بعد أن حقق ماوتسي تونغ سيطرة شاملة على الصين عام ١٩٤٩م.

إلا أن مآسي مسلمي تركستان الشرقية تجاوزت حدود الإقليم هذه المرة لتصل إلى أرض الكنانة، حيث شنت أجهزة الأمن المصرية، حملة اعتقالات مكثفة بحق عدد كبير من طلاب تركستان الشرقية (الأويغوريين)، والمتواجدين بمصر بغرض الدراسة في جامعة الأزهر، ومن ثم اقتادتهم إلى مقار احتجاز مجهولة، دون تمكينهم من التواصل مع المحامين، أو عرضهم على أي جهة قضائية، أو إخطارهم بسبب اعتقالهم. وقد جاءت هذه الحملة بعد مرور أقل من شهر على زيارة نائب وزير الأمن الصيني القاهرة، وتوقيعه اتفاق مشترك لمكافحة الإرهاب والتنظيمات المتطرفة مع وزير الداخلية المصري، حسبما أفادت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا.

وأشارت المنظمة إلى أن السلطات الصينية طالبت في أوقات سابقة الطلاب الأويغوريين بإنهاء دراستهم في الأزهر والعودة إلى تركستان، مع التهديد باعتقال ذويهم المقيمين في تركستان في حال امتناعهم عن تنفيذ ذلك القرار، كما سبق أن طالبت الحكومة الصينية حكومات الدول الإسلامية بتسليم أي مواطن أويغوري يعيش على أرضها بحجة أنهم مطلوبين أمنيًا.

وذكرت المنظمة أنه منذ ثماني سنوات، شهدت مدينة أورومتشي، عاصمة إقليم تركستان «عمليات عنف حكومي ضد السكان نتج عنها مقتل ٢٠٠ شخص واعتقال ١٥٠٠ على الأقل من الأويغوريين، حين خرج العديد من سكان الإقليم المسلمين في ٥ يوليو/تموز ٢٠٠٩م في تظاهرات احتجاجية على الممارسات القمعية التي يتعرضون لها، وخاصة مع سعي الحكومة الصينية للقضاء على هويتهم الإسلامية، متمثلًا في حظر إقامة شرائعهم بحرية، وإغلاق الآلاف من المساجد، واعتقال النساء اللواتي يرتدين الحجاب الإسلامي، وحظر صيام شهر رمضان».

ولفتت المنظمة إلى «العديد من المجازر والمذابح الأخرى بحق مسلمي الإقليم على مدار السنوات الماضية، منذ الإعلان عن ضمه لجمهورية الصين الشعبية، والتي راح ضحيتها أكثر من مليون ومائة ألف شخص، وأبرزها المجزرة التي تلت إعلان تأسيس جمهورية الصين مباشرة عام ١٩٤٩م، ومجزرة كاشغر عام ١٩٦٦م، ومجزرة بارين عام ١٩٩٠م، ومذبحتي مسجد خان أريق بمدينة خوتان ويلكيكي عام ٢٠١٣م، ومذبحة مدينة أقسو عام ٢٠١٤م». وأوضحت أن العديد من المنظمات الدولية تتهم «الحكومة الصينية بإجراء تجارب نووية شمال إقليم تركستان، ما يشكل خطورة كبيرة على حياة ساكنيه، خاصة بعد إصابة العديد منهم بالإشعاعات النووية، فضلًا عن تلوث التربة والهواء».

الوعي: لقد كانت الخلافة الإسلامية عبر التاريخ حصن الإسلام والمسلمين، كما كانت ملاذًا للمضطهدين والمظلومين للناس على مختلف انتماءاتهم الدينية والمذهبية، ومع فقدانها تحول المسلمون أنفسهم إلى نازحين تقطعت بهم السبل في بلادهم، وإلى لاجئين في الغرب الذي يضغط عليهم بكل شدة لتذويب هويتهم ومسخ عقيدتهم؛ لذلك ما لم يتخذ المسلمون إقامة الخلافة قضية مصيرية لهم، فإن مصيرهم كأمة سيبقى مهددًا، سواء من خلال عمليات القتل الجماعي والعشوائي، أم من خلال عمليات تذويبهم الممنهجة في مرجل الحضارة الغربية، وسيستمر بؤس المسلمين ويزيد، من غير رقيب أو حسيب. يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «**إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به**» رواه مسلم.